9me Année No. 428

Lundi - 15 - 9 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

# أحاديث التلاميذ المصريين

## يوم العودة إلى المدارس

« لــكاتب كبير »

في أكثر البلاد الأوربية والأمريكية يكون « يوم العودة إلى المدارس » يوماً خفيف الظل ، لطيف الروح ، وهو عند تلاميذ تلك البلاد أجمل أيام العام الدراسي" الجديد ، ولكن ما سر" الجمال فى ذلك اليوم ؟ أيكون فى تنسُّم أرواح المدرسة من جديد ، ولها فى قلوب أكثر التلاميذ مكان ؟ أيكون فى تنسُّم الــكتب الجديدة ، ولها جاذبية يتشوف إليها عقلاء التلاميذ ؟

لا هذا ولا ذاك ، فهنالك عُذوبة تفوق هذين المنَيين الــكريمين ، وهى عذوبة الأحاديث التى يتجاذبها التلاميذ ، وهم يقصُّون أخبار الصيف وما وقع لهم فيه من نوادر وطرائف ، وما شاهدوا فيه من غرائب وأعاجيب . . . إى والله ، فهنالك لذة طبيعية ، هى لذة الحديث عما رأينا وسمعنا فى أيام الراحة من متاعب الدروس ، وهى لذة لم نذقها ولم يذقها أبناؤنا ولا تلاميذنا ، ولن يلتفت إليها المربّون المصريون إلا يوم يؤمنون بأنها تصنع فى خَلق الحيوية الذوقية والروحية ما تعجز عنه المدارس والمعاهد والــكليات .

فماذا يقول التلاميذ المصريون بعضهم لبعض يوم يلتقون

الفهــــــرس

في مطلع العام الدراسيّ الجديد ؟ وما هي موضوعات الأحاديث التي يتجاذبونها في ذلك اليوم ؟

الواقع يشهد بأننا لم نبذل جهداً قويًّا أو ضعيفاً في تلوين البلاد المصرية ؛ فلم ننشئ فيها غابات ، ولم نلتفت إلى ما بها من بُحيرات ، ولم نحاول تشويق أبنائنا وتلاميذنا إلى درس ما فيها من نبات وحيوان ، ولا فكّر جماعةٌ منا في إعداد المناهج لأيام الصيف ، وهي في مصر أطيب الأيام ، وإن تعرضت لوهج القيظ من حين إلى حين

الحق أننا لا نفكر في حقوق الأبناء والتلاميذ ... وهل نفكر في أنفسنا حتى نفكر فيهم ؟ إن عيشنا رتيب رتيب ، وأكثرنا يقضي أيام الإجازة على النحو الذي يقضي به أوقات الفراغ في موسم الأعمال ، فلا ينتقل من بلد إلى بلد ، ولا يتيح لعينيه فرصة التطلع إلى منظر جديد ، وكذلك نحبس أبناءنا في بيوتنا أيام الصيف . إلا أن نتلطف فنسمح لهم بالتجول في رحاب تلك البيوت ، ثم تكون النتيجة أن يلقوا رفاقهم يوم افتتاح العام الدراسي وليس عندهم ما يتحدثون به غير المغامرات الصبيانية ، وهي لا تخرج عن التغزُّل الزيّف أو الصحيح بخادمات الجيران !

أنا أريد أن يلقى التلميذ رفاقه في مطلع الخريف وعنده أشياء يحدّث بها أولئك الرفاق ؛ كأن يقول إنه قضى أياماً أو أسابيع في رحلات طريفة تعرّف بها إلى بعض خصائص هذه البلاد ، وكأن يقول إن « بحيرة قارون » لها تاريخ لم تظفر بمثله « بحيرة التمساح » ، وكأن يقول إنه عجب من الأقدار التي فكرت منذ الأزل في تهيئة الوسائل لإقامة خزان أسوان ، وكأن يقول إنه عرف بالضبط مواطن اللوبيين ، وكان لهم تاريخ في مناوشة قدماء المصريين ، وكأن يقول إنه عرف المسجد الثاني ، وهو المسجد الذي بُني بعد المسجد الجامع بمدينة الفسطاط ، وكأن يقول إنه عرف الموجب الذي قضى بأن تكون هناك منافسات ظاهرة أو خفية بين أهل الشمال وأهل الجنوب

أريد وأريد ، ولكن المدرسين والآباء يصدونني عما أريد فإن اعتذر الآباء بشواغلهم اليومية ، فما أعذارُ المدرسين ولهم مواسم يرون بها مع تلاميذهم ما يشاءون ، لو كانت لهم عيون ؟!

وهل لحضرات المدرسين عيون وأكثرهم يقضي الإجازات في رحاب القهوات ؟

وما قيمة المدرس الذي لا يجد ما يحدّث به تلاميذه عن مشاهداته في أيام الصيف ؟ ما قيمة العيون البليدة التي لا تتطلع إلى الجديد من مشاهد الوجود ؟

ولكن ما الموجب لإيذاء المدرس بهذا الهجوم العنيف وهو عضو من الأسرة المصرية ، وهي أسرة لا تفكر في إعداد ميزانية لأيام الإجازات ؟

أيامُ العمل مرجعُها إلى البيت ، وأيامُ الراحة مرجعُها إلى البيت ، وأيامُ المرض مرجعُها إلى البيت ، ولو أُبيح لهؤلاء أن يُقبَروا في بيوتهم لعدُّوا ذلك من دلائل التوفيق !

فيا بني آدم ، من أهل هذه البلاد ، تذكّروا أن المثَل المصري يقول : « الحركة بَركة » وتذكّروا أن لأبنائكم منافع من التعرف إلى أقاليم النيل السعيد ، إن كانت لكم غاية في تثقيف أولئك الأبناء

ماذا يقول المدرس لتلاميذه يوم العودة المدرسية ؟

وماذا يقول التلاميذ بعضهم لبعض في ذلك اليوم ؟

ضُرب حجابُ الغفلة على أولئك وهؤلاء ، فلن يجدوا غير الحديث عن صفّارات الإنذار وأسعار القطن وغلاء الأقوات وهو حديثٌ مُعاد لا تنشرح لسرده القلوب

لأولئك وهؤلاء أن يعتذروا بعجزهم المادي عن مشاهدة بعض الأقطار الشرقية أو الغربية ، فما عذرهم في العجز عن مشاهدة الأقاليم المصرية ؟

أيريدون أن تقوم وزارة المعارف بتكاليف تلك الرحلات ؟

كنت أرجو أن يكون في أنفس المدرسين والتلاميذ ما يوجب جَوْب الأقاليم المصرية مشياً على الأقدام ليعرفوا كيف يكون « طُولُها شهر وعرضُها عَشْر » ، كما قال عمرو بن العاص ، ولكن ... ولكن أبناء هذه البلاد مصريون لا أعراب !

تحرّكوا قليلاً ، يا أبناء مصر ، فالحركة في أسوأ أحوالها أفضلُ من السكون ، لأن الحركة حياة والسكون موت ، أعانني الله وإياكم على التخلق بأخلاق الأحياء

« كاتب »

# الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الإسلام الصحيح — القدوة الصالحة أنفع من البرهان — مناجاة روحية — عجز المدنية الأوربية عن إقرار السلام لا يجب أن يصرفكم عن فهم روحها الأصيل ...

## الإسلام الصحيح

رجاني الأستاذ أحمد كامل مدرس علم النبات بمدرسة مشتهر الزراعية أن أجيب عن أسئلة وجهها إليّ حضرة الأديب نادرس مسيحة وكيل بريد أخطاب، والأسئلة تدور حول التعريف بالإسلام الصحيح

ويظهر أن هذه الأسئلة وُجِّهت من قبلُ إلى حضرة الباحث المفكر الأستاذ فريد وجدي، كما وُجِّهت إلى بعض الوعاظ، وإلى أحد الأساتذة بكلية أصول الدين

ويظهر أيضاً أن صاحب الأسئلة رجلٌ قد اطّلع على كثير من المباحث الإسلامية، فخطابه يشهد بأنه قرأ بعض التفاسير، ونظر في بعض المذاهب، وكوّن لنفسه فكرة واضحة أو غامضة عن العقيدة الإسلامية، بحيث يستطيع المجادلة في كثير من المسائل التي يدور حولها الخلاف بين المسيحيين والمسلمين

ويظهر كذلك أنه يتوهم أن الإجابة عن أسئلته ضربٌ من المستحيل، وإلا فكيف جاز له أن يتحداني فيقول: هذا موطن الشجاعة إن كنت من الشجعان ؟ ! !

وأجيب بأن هذه الأسئلة ترجع إلى غرض من اثنين: الأول هو الرغبة في درس بعض المشكلات الدينية، والثاني هو الشوق إلى فهم أسرار العقيدة الإسلامية. فإن كان الحافز هو الغرض الأول، فأنا غير مستعد المشاركة في هذا الجدال، فقد علمتني التجارب أن المجادلة التي تقع بين رجلين من دينين مختلفين، تنتهي غالباً إلى تعميق هوّة الخلاف، ولا نجني منها غير ثمرة الفُرقة والشقاق، إلا أن نكون وصلنا إلى أشرف الغايات في التفاهم الملي، وذلك غير مضمون، ما دام الجدل قد انتقل إلى الجرائد والمجلات، فقد ينقلب الجدل إلى لجاجة من حيث لا نريد

وإن كان الحافز هو الشوق إلى فهم أسرار العقيدة الإسلامية فأنا أرجو حضرة السائل أن يراعي المسائل الآتية حين ينظر في الكتب التي تشرح أصول الدين الإسلامي:

أولاً: لا يجوز القول بأن الإسلام مسؤول عن جميع ما سُطِّر باسمه عن حسن نية من أقوال بعض الوعاظ والفقهاء، حتى يجوز اتهامه بقبول الأباطيل والأضاليل، كالذي يقع في كلام أهل الغفلة عن روح الإسلام، وهو من أوهامهم براء

ثانياً: لا يجوز الاعتماد على ما قاله بعض أئمة المسلمين في ساعة غضب، كالذي نقله الأديب نادرس مسيحة عن الشيخ محمد عبده إذ يقول: «لو أخذنا مسلماً من شاطئ الأطلنطي، وآخر من تحت جدار الصين، لوجدنا كلة واحدة تخرج من أفواههما وهي: إنا وجدنا آباءنا ...»

فتلك كلة قالها الشيخ محمد عبده في ساعة من ساعات غضبه على من كان يناوئه من رجال الدين بلا فهم ولا إدراك، وإلا فهي كلة مفتراة على المسلمين، وفيهم ألوف الألوف من أهل البصيرة واليقين

ثالثاً: يجب أن يكون مفهوماً أن تقاليد الإسلام تعرّضت لما تعرضت له تقاليد سائر الديانات من التشويه والتحريف، فمن الظلم أن يؤخذ الإسلام بعبارات دُوِّنت في عصور الظلمات، ولو نُسبت إلى بعض الأكابر من العلماء



رابعاً — مرّت أوقات على الباحثين من المسلمين وهم لا يفطنون إلى خطر التساهل في سرد الظنون والفروض، ولو عقلوا لأدركوا أن ذلك التساهل ستكون له عواقب سود، كأن يصبح حجة ينتفع بها خصوم الشريعة الإسلامية، وهم قد انتفعوا بما في بعض التفاسير من أباطيل

خامساً — يجب أن نفهم أن الإسلام قد سيطر على كثير من أمم الشرق والمغرب، وهذه السيطرة نفعته من جانب وأضرته من جانب: نفعته لأنها كانت شاهداً على قوته الذاتية، وأضرته لأنها كانت السبب في مزج روحه الأصيل بأوشاب الآراء الموروثة عن تلك الشعوب؛ فمن العدل والإنصاف أن ننزه الإسلام عما أضيف إليه بسبب الغفلة أو بقصد التضليل

سادساً — قد اختلف المسلمون أنفسهم لأسباب عنصرية أو سياسية؛ وكان من نتائج هذا الاختلاف أن يتأثر المؤلفون بالنزعات العنصرية والسياسية، وهي نزعات توجب على الباحث

أن يحترس ويحتاط ، حتى لا يُحمِّل الإسلام ما لا يطيق ، ولو كان من غير المسلمين ، لأن نزاهة الحكم واجبة على الجميع

سابعاً — لم يَغفل أكابر المسلمين عما أضيف إلى الإسلام من الأباطيل ، فكلُّ اعتراض له دفع ، وكل شبهة لها تفنيد ، فإن رأيت ما يسوءك من كلام بعض الوعاظ أو بعض الفقهاء فارجع إلى ما دُحض به على ألسنة الموهوبين من أهل الإسلام الصحيح ، وذلك في مقدورك إن أردت الاهتداء

ثامناً — بيننا وبين ظهور الإسلام نحو أربعة عشر قرناً ، فحدثني أيها المنصف ، حدثني كيف تمرّ هذه القرون بدون أن تجني على ذلك الدين بالتحريف والتزييف ؟ وهل سمعت برأي عاش أربعة عشر عاماً بدون أن يتعرض للمسخ والتشويه ؟ فكيف يعيش دينٌ أربعة عشر قرناً وهو في أمان من أهل التزيد والافتراء ، وله ملايين من الخصوم والأعداء ، فضلاً عما له من الأصدقاء الجهلاء ؟ !

إذا صحّ هذا — وهو صحيح صحيح — فكيف يؤخذ الإسلام بآراء مدخولة أملاها الحقد الأسود ، أو ساغها التودد إلى بعض الوثنيات البوائد في الممالك الآسيوية والإفريقية والأوربية في عصور غاب عنها الناقد الرشيد ؟ !

تاسعاً — المصدر الأصيل للعقيدة الإسلامية هو القرآن ، فماذا في القرآن من اللبس والغموض ؟ وماذا فيه مما يوجب الشك والارتياب ؟

في القرآن كلمات تحتاج إلى تأويل ، لبعد العهد بيننا وبين ظهور القرآن ، وأنا حاضر لتأويل تلك الكلمات ، على شرط أن يكون مناظريّ طلاب فهم وحق ، لا عشاق لجاجة وعناد

عاشراً — عاش الإسلام نحو أربعة عشر قرناً برغم القواصف والعواصف والأعاصير ؛ وأنشئت في دحضه وتزييفه ألوف الألوف من الخطب والرسائل والقصائد والمؤلفات ، فهل يتصور عاقل أن الباطل تكون له مثل هذه القوة المانية ؟

إن كان للباطل مثل هذه الصلاحية للبقاء فسأغير رأيي ، وسأقول إن الثبات على الخطوب من صور الحق الغلاب ، ولو قيل في معنى الثبات ما قيل « بغض النظر عن عقيدتي الصوفية في الأنس بجميع صور الوجود »

والإسلام باق ، ولن يبيد أبداً ، لأن روحه مقبوسة من جمر الخلود

## القدوة الصالحة أنفع من البرهان

ويرجو الأديب تادرس مسيحة أن أقنعه بمزايا الإسلام ليسلم . وأقول : إن الكمية لا تهمني ، ولو كان الأمر بيدي لشذبت الإسلام من بعض الغصون الطفيلية ، فما انتصر الإسلام بالأرقام وإنما انتصر بالمعاني ، وهذا الأديب قد وعد بمتابعة ما أكتب في هذا الموضوع الدقيق ، فليتدبر هذا القول :

لا ينتقل الرجل من دين إلى دين بفضل الحجج والبراهين إلا في حال التجرد من مستور النوازع والأهواء ، ولو كان الناس يصغون في كل وقت إلى صوت العقل لأراحوا كواهلهم من ألوف المتاعب والصعاب

فلم يبق إلا باب واحد من أبواب الهداية ، وهو القدوة الصالحة ، القدوة التي تخلق الجاذبية الروحية فتنقل القلب من مكان إلى مكان بلا دعوة ولا نداء

وهذه القدوة هي التي استطاعت في الأزمان الماضية أن تحول جماهير الأقباط إلى الإسلام عن رغبة صحيحة وقلب سليم

وكان للأقباط الذين أسلموا فضل كبير في إذكاء الروح الإسلامي بالديار المصرية . فكان منهم نوابغ في الفقه والتوحيد ، واستطاع جماعة منهم أن يصلوا إلى أعظم المناصب الإسلامية بجدارة واستحقاق ، وليس أمام الإخلاص مستحيل

وما أحب أن أكتم رغبتي الشديدة في وحدة الأمة المصرية من الوجهة الدينية لتنعدم أسباب الشقاق الذي يثور من وقت إلى وقت ، ولنقضي على الفتنة التي تهددنا من حين إلى حين باسم الأكثرية والأقلية ، وهي فتنة لا ينتفع بها غير الأعداء .

ولكن هذا الغرض لن يتحقق في عام أو عامين ، فماذا نصنع إلى أن يريد القادر أن يتحقق ؟

نعتصم بالأخوة الوطنية فلا يبغي بعضنا على بعض ، ولا يأثم فريق في حق فريق بسبب اختلاف الدين

والأخوّة الوطنية تحتاج إلى حراسة قوية ، وهي لا تقوم إلا على قواعد من الأخلاق الصحاح . والخُلُق الصحيح يوجب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك . ويوم نتحلى بهذا الخلق تنعدم الفوارق أو تكاد بين المختلفين في الدين ، ويشعر المسيحيّ في مصر بجاذبية نحو الإسلام ، وهي الحجر الأول في بناء الإخاء

وهنا شبهة يجب عرضها بلا مواربة لنعرف كيف نهدمها

من الأساس ، وهى الشبهة التى تصيح وتصرخ فى كل يوم بأن اختلاف الدين له دخلٌ فى المشكلات الماشية المتصلة بالوظائف الرسمية

وأساس الشبهة أن المتعلمين من الأقباط كانوا قبل عشرين سنة يجدون الوظائف بلا صعوبة ، وهم اليوم لا يجدون وظائف إلا بمشقة وعناء

هذا حق ، ولكن تعليله سهل ، فالمتعلمون قبل عشرين سنة من المسلمين والأقباط كان عددهم أقل من عدد الوظائف ، فكان الشاب المتعلم يجد وظيفة تريحه من هموم البطالة ، ولو كان من حملة الشهادة الابتدائية

أما اليوم فعدد الوظائف أقل من عدد المتعلمين ، وهى أزمة تواجه المسلمين بأكثر مما تواجه الأقباط ؛ بسبب النسبة العددية ؛ والشبان الأقباط يعرفون هذه الأزمة بلا جدال ، والشكوى لا تصدُر عنهم ، وإنما تصدُر عن آبائهم الذين نشأوا فى عهود الرخاء ، فهم يظنون أن التعصب الدينى هو الذى ضيّق ميدان الوظائف ، ولا يدرون أن قانون العرض والطلب هو الذى خلق ذلك الضيق

وإنما نصصت على هذه الشبهة لأنها موجودة بالفعل ، ولأن أذاها يواجهنا فى كل يوم ، ولأن التحرر منها يبدد غيوماً تعكر سماء هذه البلاد ، بدون أن يكون للمسلمين يدٌ فى حوك ظلالها السود

الشاب القبطى قد يتجاهل الواقع فيملل نفسه بأنه مضطهد لقبطيته ، فكيف أعلل الظلم الذى أعانيه منذ أعوام طوال واسمى محمد ورئيسى اسمه محمد ؟

وأنا بعد هذا أرجو أن يفتح الله علينا جميعاً فلا نعانى أزمات هذا الزمان ، ولا يفسد ما بيننا بسبب المعاش ، وهو غاية ثانوية فى حيوات أصحاب المبادىء والآراء

أتراني أجبتك بصراحة وصدق ، يا وكيل البريد فى أخطاب ؟

مناجاة روحية

كدت أعرف بعض الخصائص التى يمتاز بها قلبى وروحى لطول ما أجهدت نفسى فى التعرف إلى ما ينطوى عليه القلب والروح من أسرار وغرائب وأعاجيب ، وقد كنت أخشى أن ينقضى العمر قبل الظفر بذلك المطلب المنشود

وأظهرُ ما عرفت من تلك الخصائص هو الشوق إلى إدراك سرائر الوجود ، بما فيه من النقائض لمن يجهل ما أقيم عليه من الأساس ، كأن يجتمع فيه البغض والحب والدمامة والجمال

وأعجبُ العجب أن يصح عندى أنْ ليس فى الدنيا شرٌّ بالمعنى المعروف لهذا اللفظ ، فما مرَّت بى أزْمةٌ إلا أحمدتُ عواقبها ، وعددتها من فضل المنعم الوهاب ، ولا تنكَّر صاحبٌ أو صديق إلا كان ذلك التنكر فرصة لدرس أهواء النفوس والقلوب

وأعجب من هذا أن تكون الوشايات والنمائم والأراجيف مصدر قوة واستعلاء ، فما أذكر أبداً أنى تهيبت أقوال الناس ، أو نصبت لأوهامهم أى ميزان ، إلا أن يلتفت ذهنى إلى الاستفادة من ذلك فى أبواب التعليم والتثقيف

وأنا أبتسم كلما رأيت ناساً يتوهمون أن فى مقدورهم أن يأسروني فاطيع ، كأنهم يجهلون أنى أؤرّق جفونهم عامداً متعمداً ليعرفوا كيف يكون الاستصباح بظلام الليل ، وليهتدوا إلى السر المكنون فى سواد المداد

والحق كل الحق أنى رجل طيب القلب ، وتلك الطيبة هى سر شقائى بالناس ، فأنا أريد أن أرفع الغشاوة عن قلوب أهل الجمود ، ولن تُرفع تلك الغشاوة بغير مِشرط يؤلم ويوجع ، وإن كان لا يريد غير النفع الصحيح

ولو كانت غايتى من حمل راية القلم هى الانتفاع المادى لسلكت سبيلاً غير هذا السبيل ، فللأقلام ميادين تصل بأصحابها إلى الثراء العريض ، ولكن أين هذا مما أريد ؟ وما قيمة الدنيا وأمانى لا تتسع لغير وجبة واحدة فى كل يوم ، وما أراد الله أن أعرف معنى الظمأ والجوع فى غير المنويات ؟

غايتى الأصيلة هى رفع الغشاوة عن قلوب الجامدين من أبناء هذا الجيل . والجهاد فى طب القلوب قد يفضُل الجهاد فى طب العيون

فما ذلك الصراخ الذى ينبعث من بعض الجرائد والمجلات ؟

وما بال قوم يشهدون على أنفسهم بالضجر من كلمة الحق ، وكان الظن أن يكونوا رسل هداية وتوفيق ؟

وما بال فلان يحشد جيشاً من الثرثارين لإيذائي ، ولي عليه فضلٌ سيذكره صاغراً أمام صاحب العزة والجبروت ، إن كان لمثله يوم البعث مكان ؟

أما بعد ، فما أردت بهذه الكلمات غير المناجاة الروحية ، وأناجي روحي فأقول :

من أي جوهر صاغك الله ، أيها الروح ، وقد بقيت سليما على رغم ما اعترض طريقك من ألوف الصعاب والمراقيل ؟

واجهتَ بلادك وزمانك بكل ما تريد بلا تهيب ولا إشفاق ، وبغَى عليك الأصدقاء قبل الأعداء ، ثم بقيتَ رحيما بالعدوّ ، وبَرًّا بالصديق ، كأنك لم تدرك ما بيّت أولئك وهؤلاء

من أي جوهر صاغك الله ، أيها الروح ، وقد غلبتَ من غلبتَ وقهرتَ من قهرت ، مع الترفق الشديد بصرعاك ؟

يمرّ بك المناضلون مرور الطيف العابر فلا يبقون غير لحظات ثم يختفون ، وإن كان مرورهم أعنف من الكابوس الثقيل ؛ ثم تبقى أنت أنت في سنة ١٩٤١ كما كنت في سنة ١٩١٩ ولا يكون لمناضليك غير الازدهاء بأنهم ساجلوك ساعةً من زمان ، وذلك حظهم في هذه الدنيا من أصول التشاريف

أيها الروح ، صاغك الله كما أراد ، فله الحمد وعليه الثناء

## أسرار المدنية الأوربية

لم تمر على أوربا أزمة أقسى وأعنف من الأزمة التي عانتها في العامين الأخيرين ، فقد انحدرت ممالك كنا نرى انحدارها من المستحيلات ، واستطالت شعوب لم نكن ننتظر أن تستطيل وصح عند الأكثرين أن المدنية الأوربية أفلست كل الإفلاس ، بعد خيبتها في إقرار قواعد العدل والسلام

وأقول إنه يجب أن ندرس أوربا من جديد ، وأن نستعد لدفع شرها كل الاستعداد ، فمن الظاهر أن طمع طغاتها لن تكون له جذود ، وإن عللونا بمعسول الأماني والمواعيد

وآفتنا منذ أزمان هي الغفلة عن مرامي المدنية الأوربية ، وفهم ما تقوم عليه من قواعد وأصول ، وقد نعرف ثم نكتم ليصح وقاؤنا للشرق ، كأن من الحرام أن ندل قومنا على مصادر الحيوية في أقطار الغرب !! وهناك آفة أفظع وهي غفلة بعض من عاشوا في أوربا عن التعرف إلى مواهبها العلمية والروحية والاقتصادية والحربية ، فأنا أعرف شخصاً عاش في تلك البلاد سبعاً وعشرين سنة ثم عاد وهو هو لم يتغير ولم يتبدل ، ولم يعرف من خريطة البلد الذي عاش فيه غير خطوط معدومة المدلول ، ثم انسجم حين عاد مع بيئته القديمة بلا تحفظ ولا احتراس ، وكان الظن أن يغيرها من حال إلى حال ، ولكنه عاش في أوربا معصوب العينين فلم يعرف ما فيها من أسرار لمجد قومه حين يعود بزاد جديد

ولهذا الشخص أمثال وأمثال ، وجهلهم أو رياؤهم هو السبب في صد مصر عن فهم الاتجاهات السياسية والاقتصادية في البلاد الأوربية

اعرفوا أوربا . اعرفوها . اعرفوها ، لتتقوا شرها عن بصيرة وإدراك ، واحترسوا ممن يوهمكم أن أوربا ذهبت ولن تعود أوربا المبلبلة باقية إلى أزمان وأزمان ، فادرسوها بعناية لتعرفوا مسالكها الظاهرة والخفية ، ولتقفوا على غرضها المستور من التودد إلى أقطار الشرق ، فالجسم المزخرف الأملس هو أظهر شمائل الحية الرقطاء ، وما قال أحد إنه رأى أنياب الحية إلا بعد التزود من سمها الزعاف ... والله الحفيظ ، وبه نستعين

زكي مبارك

# كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٤ —

## جمع المراجع والأصول التاريخية

الخطوة التالية بعد اختيار موضوع البحث التاريخي هي عملية جمع المادة التاريخية عن ذلك الموضوع سواء من المراجع العامة والخاصة أو من المصادر والأصول المطبوعة والمخطوطة، مع جمع ودراسة الآثار والمخلفات التي تتعلق بذلك الموضوع(1). والمراجع العامة والخاصة تفيد في إعطاء فكرة عامة عن العصر الذي يكون موضوع البحث جزءاً منه. وعدم الاستفادة بما كتبه السابقون يعتبر مضيعة للوقت وإخلالاً بشروط البحث العلمي؛ فينبغي على كل جيل من المؤرخين أن يعرف ما كتبه السابقون، وأن يبدأ حيث انتهوا، وأن يعمل مؤرخ اليوم لكي يمهد لمؤرخ الغد. والمراجع العامة والخاصة تساعد أيضاً في كشف بعض الأصول التاريخية المجهولة وتفتح آفاقاً جديدة للبحث. والباحث الذي يكتب في ناحية من تاريخ مصر في القرن الثامن عشر مثلاً ينبغي أن يدرس بعض المراجع التي تناولت تاريخ مصر منذ أقدم العصور، كما يدرس بعناية المراجع التي تبحث في تاريخها أثناء القرن الثامن عشر، ويطالع ما كتبه الرحالون الذين زاروا مصر من الشرق ومن الغرب، ويدرس ما دونوه من المعلومات والمشاهدات، وذلك لكي يفهم تاريخ العهد المعين الذي يرغب في الكتابة عنه

وكيف يمكن للباحث أن يعرف كل المراجع العامة والخاصة والأصول المطبوعة عن الناحية التي يرغب في دراستها؟ الإحاطة بذلك ليست أمراً سهلاً. ويمكن الباحث في أول الأمر أن يستعين بالاطلاع على بعض المقالات في دوائر المعارف فيعرف بعض المراجع والأصول التي تهمه. ثم يرجع إلى كتب البيليوغرافيات (المراجع) التي تتناول موضوع دراسته. ولقد أصدر الغربيون أنواعاً مختلفة من البيليوغرافيات، فمنها البيليوغرافيات العامة ومنها الخاص بقطر أو بعصر أو بشخصية معينة؛ وبعضها يكتفي بذكر المراجع والمصادر وأماكن وسني طبعها وعدد صفحاتها؛ بينما البعض الآخر يعطي مذكرات وصفية موجزة عن تلك المراجع والأصول المطبوعة(1). إنما هذا لا يكفي، لأن كتب المراجع لا تكون وافية في كل الأحوال، وهي في الغالب لا تذكر شيئاً عن المقالات التي تنشر في المجلات التاريخية وهي كثيرة ومتنوعة؛ فمن الضروري إذاً مراجعة فهارس هذه المجلات للالمام بما كتب فيها عن الموضوع المعين. وكذلك يلزم الباحث أن يراجع فهارس دور الكتب المطبوعة وغير المطبوعة. ويجمع الباحث من كل هذه النواحي

(1) يسمى الدكتور أسد رستم عملية جمع المصادر والأصول بالتقميش بمعنى الجمع، وأخذ ذلك من المحدثين مثل أبو حاتم الرازي من أعيان القرن ٣ هـ. راجع كتاب الدكتور رستم عن مصطلح التاريخ ص ١ — ٦

(1) بعض أمثلة من كتب البيليوغرافيا :

١ — International Bibliography of Historical Sciences Edited by the international committee of Historical Sciences, Washington

ويصدر هذا المجلد مرة في السنة ابتداء من ١٩٢٦ ويشترك في وضعه طائفة من العلماء والباحثين، وله لجان فرعية في أقطار أوروبا وأمريكا وهو ينشر قوائم مختارة بالمراجع والأصول التاريخية التي صدرت في عام مكتفيا بذكر مكان وتاريخ الطبع مع عدد صفحات الكتاب. والمؤلفات التي يوردها تشمل جميع نواحي التاريخ؛ فتتناول طرق البحث التاريخي والعلوم المساعدة ودور الأرشيف والمؤلفات العامة عن التاريخ الدستوري والاقتصادي ومن تاريخ الحضارة وعصر ما قبل التاريخ وشعوب الشرق القديم وتاريخ اليونان والرومان وتاريخ الكنيسة القديم وتاريخ بيزنطة وتاريخ العصور الوسطى في الغرب ونواح مختلفة من التاريخ الحديث مثل التاريخ الديني والثقافي والاجتماعي وتاريخ العلاقات السياسية وتواريخ آسيا وأفريقيا وأمريكا ...

٢ — Bibliographie Critique des Principaux Travaux parus sur l'Histoire de 1600 à 1914 en 1932 et 1933. Paris, 1935

نشرت هذا المجلد جمعية التاريخ الحديث في باريس. وهو يعطي قوائم من نواح من التاريخ العام والخاص مع وصف موجز لما تتناوله من الموضوعات

٣ — من كتب البيليوغرافيات عن قطر معين نجد عن سوريا مثلا :

Röhricht, R. : Bibliotheca Geographica Palaestinae. Berlin, 1890

Masson, P. : Bibliographie Française de la Syrie. Marseille, 1919

ونجد عن مصر :

Ibr. Hilmy, Prince : The Literature of Egypte & The Soudan 2 vols. London, 1886—88

Maunier, R. : Bibliographie économique, juridiqne et sociale de l'Egypte moderne (1798—1916) Le Caire, 1918

ونجد عن تاريخ كمال أتاتورك مثلا :

Melzig, H. : Atatürk Bibliyografyasi. Ankara, 1941

أسماء المراجع والأصول التي تمنيه ؛ ويحسن أن يستعين بعمل فهرس أبجدي على جذاذات من الكرتون ويضع عليها ملاحظاته ؛ وإذا اقتضى الأمر أن يكتب ملاحظات مطولة فليدونها على أوراق خاصة . ثم يبدأ في قراءة الكتب التي يصل إليها ويأخذ منها مذكرات باللغة الأصلية في المواضع الهامة على الأقل ، مع وضع أرقام الصفحات ؛ ويرجىء قراءة الباقي لحين الوصول إليه بتصويره بالفوتوستات أو بالسفر إلى مكان وجوده

ثم تأتي الأصول التاريخية التي لا توجد في أغلب الأحوال كتب بيليوغرافية تدل عليها . ومن هـذا النوع نجد الوثائق والرسوم والصور ومخلفات الإنسان ... والوثائق عبارة عن القوانين والأوامر والمنح والأحكام والفتاوى والعقود والمراسلات والمعاهدات والمذكرات والتقارير . وهي تحفظ في الأصل عند الملوك والأمراء وفي المحاكم والأديرة أو عند الأشخاص العاديين . وليس من الضروري وجود وثائق وافية عن كل حوادث التاريخ ؛ فالكثير منها تنطمس آثاره وتزول دلالاته لأنها تتعرض في ظروف مختلفة للتلف والضياع مثل ظروف الثورات أو الحرائق أو الرغبة في التخلص منها وإتلافها عمداً عند ما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية ، أو من يهمه منع تداول معلوماتها بين الناس . وبذلك يضيع الكثير منها بالنسبة للتاريخ ؛ وكأن الأفكار والحوادث التي كانت تحملها في طياتها وثناياها لم تكن في الوجود . وعلى ذلك فإن المؤرخ كثيراً ما يجد فجوات في التاريخ لا يستطيع أن يملأها . وستبقى حلقات كثيرة من التاريخ مجهولة إلى الأبد ؛ وليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع هذه الوثائق ؛ وحيث لا توجد وثائق لا يوجد تاريخ . وينطبق ذلك على كل آثار الإنسان

وعملية البحث والكشف عن الوثائق Heuristic هي أهم عملية أساسية لكتابة التاريخ . وكشف كمية من الوثائق الهامة عن الموضوع المعين هو الذي يحدد إمكان الاستمرار في بحثه أو العدول عنه إلى غيره . والباحث الذي يكتب التاريخ وقد فاته الوصول إلى مجموعة من الوثائق الأساسية لا يكون لبحثه قيمة علمية مهما كانت كفاءته وقدرته على العمل . والباحثون الأولون في التاريخ قد لاقوا صعوبات جمة في سبيل الوصول إلى الوثائق التاريخية ؛ وإذا كانت الحوادث التي قصدوا أن يكتبوا عنها قريبة العهد من العصر الذي عاشوا فيه ، فإنهم كانوا يرجعون إلى أقوال بعض الأشخاص الذين شهدوا الحوادث ويوازنون بينها ويستخلصون منها ما يمكن الوصول إليه من الحقائق التاريخية . على أن هذه الطريقة لا تكون سليمة دائماً نظراً لتعرض الروايات الشفوية للتغيير والتعديل ، والأفكار والآراء والأقوال الشفوية إذا مادونت أصبحت مسجلة ووقف تغييرها إلى الحد الذي وصلت إليه. فالوثائق ضرورية جداً للعهد القريب من المؤرخ فضلاً عن العهد البعيد عن الزمن الذي عاش فيه . والوثائق في أغلب الأحيان تنتقل بالتدريج من حوزة الأشخاص إلى الأماكن العامة وتحفظ في دور الأرشيف ودور الكتب وفي المتاحف والكنائس

والكثير من الوثائق المحفوظة في الأماكن العامة قد وضعت عنها كتالوجات وفهارس مختلفة ؛ إلا أنها في أحوال كثيرة أيضاً لا تزال غير وافية ، وأغلبها يكتفي بوضع أرقام مجلدات الوثائق مع بيان الشهور والسنوات التي تتناولها ، بدون أن تصف محتوياتها ، وهي بين قديم وحديث ومخطوط ومطبوع . كما أنه توجد وثائق في مصر وفي الخارج لم تنظم ولم توضع عنها الفهارس الأولية بعد ، وهـذه بالنسبة للباحثين تعتبر في حكم المجهولة ، ولا يمكن الاستفادة منها قبل تقسيمها وترتيبها ترتيباً أولياً على الأقل ، وهذا كله يبين صعوبة البحث عن الوثائق . إلا أن التقدم مستمر في هذا الباب . ولقد وضعت كتالوجات وصفية لبعض نواح من الوثائق في دور الأرشيف بالغرب ؛ واهتمت الحكومات الغربية بإرسال بعثات خاصة إلى الخارج لكي تبحث في دور الأرشيف الأجنبية عن الوثائق التي تهم تاريخ بلادها وعند ما فتح أرشيف الفاتيكان للباحثين أنشأت كثير من الدول معاهد خاصة في روما لكي يشتغل أعضاؤها بجمع ونسخ ووضع فهارس عن الوثائق التي تهمها في الفاتيكان ، فهكذا فعلت انجلترا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وبلجيكا والدانمرك . . .

وكيف يمكن للباحث المبتدئ أن يشق طريقه في هذا البحر العجاج ؟ لا ريب في أن طريق البحث وعر شاق ؛ ولا بد من الصبر والجلد ، ويستطيع الباحث أن يتصفح فهارس وكتالوجات الوثائق التي يظن أنها تحوي شيئاً يعنيه ، وبعض هذه الفهارس

مطبوع وأغلبها مخطوط . ومن حسن حظ الباحث أن تكون بعض الوثائق اللازمة له قد حصرت ونظمت ووضعت عنها الفهارس . ولكن ستبقى أمامه دائماً مناطق مجهولة لا بد من الإقدام على كشفها بنفسه . والباحث عن الوثائق يشبه المنقب عن الآثار الذى يظل سنوات عديدة يبحث فى مناطق مختلفة حتى يعثر فى النهاية على ما يرضيه ويُرضى العلم . ولنأخذ بعض الأمثلة العملية عن جمع الوثائق والأصول التاريخية .

فالباحث فى دار المحفوظات المصرية بالقلعة عن تاريخ محمد على قائد الجند الألبانى ، بعد رحيل رجال الحملة الفرنسية عن مصر وقبيل ولايته حكم مصر ، سيجد مادة قد وضعت عنها بعض السجلات الأولية فيستعين بها فى فحص بعض دفاتر مرتبات العساكر الألبانيين ابتداء من ١٢١٧ هـ ، وسيجدها مكتوبة بخط القيرمة ؛ فلا بد من الاستعانة على قراءتها بمن يعرف ذلك الخط ، حتى يتعلم الباحث قراءته بنفسه . وسيعثر الباحث فى هذه الدفاتر على اسم « محمد على أغا سرچشمه ء عساكر أرنؤود[١] » . وسيعلم بعض أشياء عن مرتباته وعن تكاليف عساكره . ثم يفحص أيضاً دفاتر « كشيده ء ديوان مصر[٢] » ، ويجد أنها تحتوى على صور فرمانات سلطانية وأوامر باشوية بعضها يختص بمحمد على أغا . ثم يبحث بعض الأوراق التركية التى لم يتم وضع سجلات لها ، وهى عبارة عن بعض أوامر باشوية أو تذاكر ديوانية خاصة بمرتبات جند محمد على[٣]

وقد يسافر الباحث فى ناحية من تاريخ الشام إلى سوريا لمقابلة بعض العارفين بتاريخ البلاد وبدور الكتب بها كالدكتور أسد رستم فيجده قد انتقل إلى المصيف ، فيتبعه إلى ضهور الشوير ويتحدث إليه طويلاً ويأخذ منه ما يريد . وقد يحاول الاتصال بالأستاذ إسكندر المعلوف فينتقل إليه فى زحلة ويستفيد بخبرته ومعلوماته . ثم يقصد دمشق فيجد الأستاذ كرد على قد غادرها إلى شمالى سوريا ، وفى انتظاره يجتمع بالأستاذ عبد القادر المغربى وبالأستاذ حسنى الكم فيتحدث إليهما وتنفتح أمامه سبل لم يكن يعرفها من قبل ، وبذلك يمكنه الوصول إلى مجموعة من المخطوطات الأساسية التى لم تدرس من قبل

والباحث فى أرشيف الحكومة التاريخى فى فلورنسا[١] عن تاريخ المصادمات البحرية بين الأسطول العثمانى وبين السفن التسكانية فى القرن السابع عشر مثلاً ، يجد فى الفهارس والكتالوجات المطبوعة والمخطوطة بدار الأرشيف بعض ما يفيد فى فحص مجلدات خاصة ؛ ولكن هذا لا يكفى ، بل عليه أن يدرس عشرات من المجلدات فى سنوات معينة وفى نواح مختلفة ؛ فيفحص مثلاً المجلدات التى تحوى مراسلات ممثلى فلورنسا فى الدولة العثمانية ، ومذكرات التجار الفلورنسيين ، وتقارير رجال سان ستيفانو الواردة إلى حكومة فلورنسا ، والتى تحوى أخباراً عن حوادث ذلك الاصطدام . وكذلك يفحص المجلدات التى تضم صور المراسلات الصادرة من حكومة فلورنسا إلى ممثليها فى الشرق الأدنى ، وإلى التجار الفلورنسيين ، وإلى رؤساء وقواد نظام سان ستيفانو[٢] . وللغرض نفسه ينبغى أن يفحص أيضاً عشرات من المجلدات عن المراسلات الواردة من صقلية والبندقية وجنوا مثلاً إلى حكومة فلورنسا ، والتى تتضمن أخباراً عن هذه المصادمات ؛ ثم المجلدات التى تحوى صور المراسلات الصادرة من فلورنسا إلى كل تلك الجهات فى هذا الخصوص ؛ وينتج عن ذلك المجهود جمع مادة أصلية مهمة لم تكن معروفة من قبل عن موضوع البحث

ولا ينبغى على الباحث أن يقتصر فى جمع وثائق البحث الذى يدرسه على أرشيف واحد فقط ؛ فمن الضرورى البحث عن وثائق أخرى — إن وجدت — فى أمكنة متعددة ، وتتناول نفس الموضوع ، فيتجه الباحث إلى أرشيف الحكومة التاريخى فى فينا[٣] ، لأنه يرى أن علاقات السلم والحرب كانت قوية دائماً بين الدولة العثمانية وامبراطورية النمسا ، وأنه لا بد من أن أخبار

(١) أى قائد الجند الألبانى

(٢) أى دفاتر قيد ديوان مصر

(٣) علم هذه الدفاتر عند زميلى الأستاذ محمد محمد توفيق الوثائقى المترجم بدار المحفوظات المصرية بالقلعة

(١) Archivio di Stato di Firenze

(٢) أنشأ كوزيمو الأول جراندوق تسكانا (١٥٣٧ — ١٥٧٤) نظام سان ستيفانو البحرى للدفاع عن سواحل تسكانا ولمهاجمة السفن العثمانية فى البحر الأبيض المتوسط

(٣) Haus-Hof-Und Staatsarchiv, Wien

الاصطدام البحرى بين السفن العثمانية والسفن التسكانية قد وصلت إلى ممثلى النمسا فى القسطنطينية ، وأنهم قد أرسلوها بدورهم إلى حكومة ڤينا . ويكتب الباحث إلى مدير أرشيف ڤينا فيرسل إليه المعلومات التى يعرفها ؛ وملخصها أن المادة الموجودة عن ذلك الموضوع قليلة جداً وعديمة الأهمية . إنما ذلك لا يعنى أن هذه المعلومات صحيحة ، ولا يقتنع الباحث برد مدير الأرشيف . ويسافر بنفسه إلى ڤينا ، ويجد أن الكتالوجات الموجودة لا تفيد شيئاً ؛ ولكن ذلك لا يمنعه من البحث ؛ فيعمل بعض الزمن وينتهى به الأمر إلى كشف طائفة ممتعة من الوثائق الألمانية والإيطالية عن الموضوع الذى يدرسه ، فيحملها إلى مدير الأرشيف ويرجوه أن يدرجها فى كتالوجاته . ونلاحظ أن الباحث ينسخ بنفسه جزءاً من الوثائق التى يعثر عليها ، ويمكنه اختصاراً للوقت أن يشرك معه بعض الإخصائيين فى نسخ جزء من الوثائق ، كما يمكنه أن يصور بالفوتوستات جزءاً آخر على حسب الحالة . ولا يكتفى الباحث بكل ذلك ، بل يمضى فى البحث والكشف عن الوثائق فى أماكن أخرى مثل باريس ومدريد ولندن . . . ويدرس الباحث المادة التى جمعها ويقارن بين مجموعات الوثائق التى كشفها ويوازن بين معلوماتها وبين ما وصل إليه من المراجع والأصول المطبوعة ، ويستخلص الحقائق التاريخية التى يمكنها الوصول إليها ، كما سنرى ذلك فى المقالات التالية . وهذه كلها أمثلة عملية تعطى فكرة عامة عن كيفية البحث عن الوثائق والأصول التى تظل مجهولة للعلم حتى يُكشف عنها . وإلى آخر لحظة يظل الباحث يتوقع كشف أصول جديدة توضح أو تغير ما وصل إليه من الحقائق مما قد يضطره إلى تعديل معلوماته إذا لم يكن قد طبع بحثه بعد ، أو إلى تغييره إذا ما أعاد طبعه[١]

ويتصل بالوثائق الرسوم والصور وهى مهمة من الناحية التاريخية . والأثر الذى يحدثه الشكل يسجله الفنان على الورق أو على المرمر ، والوصف الكتابى مفيد فى بيان عادات وخلق نابليون مثلاً ؛ ولكن رسم الفنان إياه أو صنع تمثال له يعطينا فكرة مجسمة تضاف إلى ما نعرفه من أوصافه بطريق الكتابة .

(١) الباحث لا يمكنه الرجوع إلى وثائق أرشيف القسطنطينية مثلا لعدم ترتيبها وتنظيمها بعد مما لا يسمح ذلك بدراستها الآن

والرسوم والصور وثائق مهمة لأنها تحفظ لنا أبداً آثاراً وأشكالا ومناظر وأزياء مختلفة قد تغيرت معالمها أو زالت من الوجود ، ولا تستطيع أن تعبر عنها بوضوح الكتابة الوصفية . وتزداد أهمية التصوير بعد تقدم استعمال الفوتوغرافيا فى الوقت الحاضر ، فهى تسجل مشاهد عديدة للانسان ولآثار الحضارة والعمران

ومن الأصول المهمة أيضاً نجد آثار الإنسان ومخلفاته وتقاليده ، كما عرفنا ذلك فى مقال سابق[١] . وأعمال الحفر والتنقيب تكشف عن مخلفات العصور القديمة ؛ والبحث فى بعض الأماكن يؤدى إلى العثور على آثار الإنسان فى العصور الحديثة . ويجب على الباحث أن يشاهد ويدرس بنفسه آثار العصر الذى يكتب عنه . وينبغى أن يزور المبانى القائمة التى كان رجال العصر يعيشون فيها ، والحدائق التى كانوا يروحون عن خواطرهم فى أرجائها، وأن يتعرف طرق المعيشة والأزياء وأدوات الحرب وآلات الموسيقى . . . وفى الغالب تحوّل المبانى إلى متاحف وتجمع فيها بعض آثار الإنسان . ولا ريب فإنه من الضرورى للمؤرخ أن يعيش فترة خلال هذه الذكريات التى تأدت من الماضى إلى الحاضر ، وأن تشيع فى نفسه هذه الرؤى وتلك الخلجات التى أحاطت برجال العصر الذى يدرسه

( يتلى )

**حسن عثمان**

استدراك : فى العدد ٤٢٦ من الرسالة ص ١٠٨٦ قد سقط عنوان المقاله ٣ وهو « اختيار موضوع البحث التاريخى » فلزم التنويه

(١) راجع مجلة الرسالة عدد ٤٢٣ ص ١٠٠٢

# ٣ - كليلة ودمنة

## نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

٨ — ٨٠ : ١ — ٥ « فلبث الذئب وابن آوى والغراب أياماً لا يصبن شيئاً مما كن يعشن به من فضول الأسد ، وأصابهم جوع وهزال شديد . فعرف الأسد ذلك منهم فقال : جهدتن واحتجتن إلى ما تأكلن . فقلن ليس همنا أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى ، ولسنا نجد للملك بعض ما يصلحه . قال الأسد : ما أشك فى مودتكم ونصيحتكم »

وهذه صورة عجيبة من التعبير لم أدر لها سراً ، وكان أولى بابن المقفع أن يجعل الضمائر العائدة إلى هذه الجماعة من الحيوان على طراز واحد ، كما هو الأصل فى إرجاع الضمائر . أما أن يجعلها للمؤنثات ثم لجماعة العاقلين ثم المؤنثات أخرى ثم لجماعة العاقلين رابعة ، فهذا عجب لم نره لكاتب غيره

وقد ينزل العرب غير العاقل منزلة العاقل ، وابن المقفع جعل هذه الجماعة مرتين من غير العاقلين ومرتين من العاقلين فأسرف فيما أجازه القوم إسرافاً

وألفيته يساود هذا المذهب ويراجعه . ففى ٨٦ س ٧ « فلنأت سائر الطير فلنذكر ذلك لهم . فأجابوه إلى ذلك وأعلمهن ما أصابه وحل به » الضميران فى « لهم » و « أعلمهن » عائدان إلى سائر الطير . وفى ٩١ س ٤ « ودنا منهن ليبصرهن ، فتناوله بعضهم وضرب به الأرض » الضمائر راجعة إلى : « جماعة من القردة » فى الصفحة السابقة . وفى ١٥٢ — ١٥٣ « فبينما هم فى ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم : انتظرن حتى يأتينا هذا الغراب » الضمائر مرجعها « جماعة من الطير » . وغير ذلك كثير

٩ — ٧٤ : ٥ « فلما فرغ دمنة من تضريب الأسد على الثور » التضريب هنا : التحريض ، وفى اللسان[1] : « والتضريب تحريض للشجاع فى الحرب . يقال ضربه وحرضه » والتضريب أيضاً : الإغراء ، وفى اللسان[2] : « والتضريب بين القوم : الإغراء » وفى نسخة بولاق ص ٤٣ « من تحميل الأسد على الثور » . وهى الرواية الجيدة ؛ لأنها لغة ابن المقفع ، ولازمة من لوازمه الكتابية . فقد جاء فى ص ١٠١ س ٧ « ولكن قتل لتحميل الأشرار » وفى س ١١ من الصفحة عينها « من تحميله إياك عليه وفى ص ٢٤٩ س ٨ : « تحميل الملك على » وفى س ١٤ من الصفحة نفسها « ليحملوا عليه الأسد » فهذا هذا

(١) لسان العرب ( ٢ : ٣٩ )
(٢) لسان العرب ( ٢ : ٣٦ )

وقد أراد ابن المقفع بكلمة « التحميل » الإغراء » . ومن العجب أن ابن منظور وصاحب القاموس لم يذكرا هذا اللفظ فى مادته ، بل ذكرا فى هذا المعنى « حمله على الأمر يحمله حملاً فانحمل : أغراه به[1] » ثم انفرد ابن منظور[2] بقوله « وحملت على بنى فلان إذا أرشت بينهم » ، والتأريش : التحريش والإغراء

١٠ — ٨٦ : ٤ « فأعينونى وظافرونى » وبدلها فى نسخة بولاق ص ٤٨ : « فأعنىنى » ، و « ظافره » بمعنى أعانه وظاهره لم يذكرها صاحبا اللسان والقاموس ، وقاربها ابن منظور بقوله[3] « وتظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى واحد » فنستطيع أن نزيد فى معجمنا المنتظر هذه الكلمة ، وابن المقفع ثقة يحتج بقوله : وهو دليل أن المعاجم المتداولة لم تستوف ولم تستوعب كل أصول اللغة وفروعها إلا ما نبهت على عدم وروده . فذا مرجعه إلى استيثاق الرواة الأولين واستقصائهم

١١ — ٩٥ : ٧ « ليس يستكبر لها أن تختطف بزاتها الفيلة » ابن المقفع — فيما أشعر — لا يقول هذه الكلمة بل يقول « يستنكر »

ومما يجدر ذكره أن استكبر الشىء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده ، قولٌ منسوب إلى الإمام ابن جنى[4] ، ولم يقله عامة اللغويين . واتفقوا أن استكبر بمعنى تكبّر ؛ وفى كتاب الله : « إنه لا يحب المستكبرين »[5] ، « يصدون وهم مستكبرون »[6]

وقد رجعت إلى نسخة شيخو ( ص ٩٩ ) ، فوجدت : « ما أرضا ( كذا ) يأكل جرذها مئة منٍّ من حديد يستنكر لبزاتها أن تختطف غلاما »

١٢ — ١٠٧ : ٦ : ( إذا جئتنى بالليل من غير نداء ولا رمى ولا شىء يرتاب به ) . فما ذلك الرمى ؟ !

(١) القاموس ولسان العرب ( ١٣ : ١٨٠ )
(٢) فى لسان العرب ( ١٣ : ١٩٢ )
(٣) فى لسان العرب ( ٦ : ١٩٢ س ٥ — ٦ )
(٤) لسان العرب ( ٦ : ٤٣٩ س ٢٢ )
(٥) النحل ٢٣ (٦) المنافقون ٥

الصواب : (ولا رمز) — أي إشارة وعلامة ؛ وقد جاء بدلها في نسخة بولاق (٥٣) : (ولا إيماء) ، وهو والرمز والإشارة بمعنى

١٣ — ١١٥ : ١٣ ، ١٦ و ص ١١٦ : ١ و ص ١١٧ : ١ ، ١٦ و ص ١١٨ : ٢ ، ٦ : (رأس الخنازير) و (سيد الخنازير) . عندي أنها : (رأس الخبّازين) و (سيد الخبازين)

يؤيد ذلك ما جاء بدلها في نسخة شيخو السريانية : (فتكلم صاحب المائدة) ، وما هو عند ابن المبارك (١١٥) :

فأخذ الخبّاز كفَّ دمنه     وقال : لله العظيم المنّه

وكذلك ص ١١٨ :

فأطرق الخباز لما سمعا     ذلك من مقاله وخضعا

وكما يفهم من قول ابن المقفع عنه ١١٧ : ١٢ : (ثم أنت تجترئ أن تقوم بين يدي الملك وتلي طعامه)

١٤ — ١١٦ : ١١ : (ولا مسيء وإن أذنبه بضائره ذنبه) تطبيع ، صوابه : (وإن أذنب)

١٥ — ١٢٠ : ٩ : (فأقر بذنبك وبؤ بإساءتك) : باء بإثمه فهو يبوء به بوءا : إذا أقر به ؛ وفي الكتاب : (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) ؛ وفي الحديث : (أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي) — أي أقر ؛ وقال لبيد :

أنكرت باطلها وبؤت بحقها     عندي ولم تفخر عليّ كرامها

وأصل البوء الرجوع ، فمن باء فكأنه رجع إلى الإقرار بعد الإنكار والسكوت(١)

وبهذا أيضاً يفسر قول ابن المقفع في س ١٥ : (وأن أبوء بما لم أجن)

١٦ — ١٢١ : ١١ ، ١٢ (خفظ الفرخان ذلك بلسان البلخية) البلخية : أهل بلخ ، بفتح البـاء : مدينة مشهورة بخراسان(٢) والتاء فيه للدلالة على الجمع . وهي عند التحقيق علامة للتأنيث بتقدير الجماعة أو الطائفة كأنك تقول : الجماعة البلخية ، فلما حذفت الموصوف وأقمت صفته مقامه ألحقت بها تاء التأنيث المنبهة

(١) نهاية ابن الأثير ولسان العرب : (١ : ٢٨) ؛ ومشارق الأنوار : (١ : ٨٩)

(٢) معجم البلدان

على الجمع أيضاً(١) . ومثلها في ذلك : الإباضية ، والإسماعيلية ، والأشعرية ، والباطنية ، والجبائية . ونحو ذلك كثير من أسماء الفرق الدينية والسياسية

١٧ — ١٢٧ : ١٤ (وأخفت على الشبكة حتى لججت فيها وصويحباتي) . لج فلان في الأمر تمادى عليه وأبى أن ينصرف . فهو فعل اختياري لا دخل للقسر فيه . والمعنى لا يتجه بهذا . وإنما هو (لحِجْت) بالحاء المكسورة المهملة بعدها جيم . لحج السيف وغيره بالكسر يلحج لحجاً : أي نشب في الغمد فلم يخرج . وفي حديث علي يوم بدر « فوقع سيفه فلحج » أي نشب فيه . ويقال لحج في الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب(٢) . ومن البين أن المراد نشوب الطير في الشبكة ، مما أعماهن القدر وأعشى أبصارهن

١٨ — ١٢٨ : ١ (ويستنزل الطير من الهواء ، إذا قضى ذلك عليهم) أجرى (الطير) مجرى العاقل فجعل لها ضميره . وهو معروف عند العرب . وفي كتاب الله : « لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ في فلك يسبحون » وفيه : « إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ، « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ، وقال عبدة بن الطبيب :

إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته     إلى الصياح وهم قوم معازيل

جعل للديك أسرة وسماهم قوماً

١٩ — ١٣٠ : ١ (منها عداوة من يجتزيان على ذلك كعداوة الأسد والفيل) . وفي نسخة بولاق ٦٢ (منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والأُسد) وعند ابن المبارك ١٢٩ :

« وهو التجازي لا سواه إنما »

الاجتزاء : طلب الجزاء ، قال :

يجزون بالقرض إذا ما يُجتزى(٣)

وفي ذلك معنى التكافؤ . والتجازي ـ كما في ترجمة ابن المبارية

(١) انظر الرضى (٢ : ١٥٢) تجد هذا التحقيق النادر

(٢) نهاية ابن الأثير ، واللسان

(١) لسان العرب (١٨ : ١٠٦)

أصل معناه التقاضى(١) ، والمراد به المقاصة ، فهو كذلك فى معنى التكافؤ

٢٠—١٣٣ : ١٥ (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى الأعاجيب) ، والفعل (جال) لا يتعدى بنفسه . والوجه (جال [ فى ] الآفاق) . وسُمع جوّل الأرض : جال فيها ، وجوّل فى البلاد أى طوّف(٢) . فهذا الفعل ورد بالوجهين . وفى القاموس أن جال الشىء : اختاره . وهذا معنى لا يراد هنا

٢١— ١٣٩ : ٨ (وانقلبتُ ظهر البطن ، وانجررت حتى دخلت جُحرى) فاذا جرّه حتى انجرّ ؟! إنما هى (وانحدرت) أى نزلت فى سرعة إلى الجُحر

٢٢— ١٥٠ : ٧ (إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته ، وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته). متكشفاً أى بادياً ظاهراً ، وهى لا تساير الكلام . والصواب (مُكْثِباً) أى دانياً . أكثبك الصيد والرمى وأكثب لك : دنا منك . وعلى هذا الوجه الذى أثبتُّ وردت الكلمة فى نسخة بولاق ٦٩ . ويؤيد هذا التصحيح ترجمة ابن المبارية ١٤٨ :

لأنه إن كان منه نازحا ... أعاد مثل فعله مشايحا
أو كان منه دانياً أو حاضرا ... واثبه مبادراً مساورا

فكلمة (دانياً) فى النظم تقابل كلمة (مكثباً) التى ذكرت

٢٣— ١٦٥ : ١٦ (فإن الغراب ذو أدب ومكر ومكيدة) . لا وجه لورود كلمة (أدب) بالدال فى هذا المعرض . والصواب (أرب) بالراء ؛ ليصح اقترانها بأختيها : المكر والمكيدة . والمقام مقام ذم وتهجين . والإرب بالكسر ، أو بالتحريك : الدهاء والخبث والنُّكر . وفى نسخة شيخو ١٥٨ (فإن الغراب ذا أرب ومكائد(٣))

٢٤— ١٦٦ : ١٥ (فإن الشر يدور حيثما دارت) . هى (حيثما دُرْتَ) .

٢٥— ١٧١ : ٤ (فابتُليت ببلاء حُرّمت علىّ الضفادع) والجملة بهذا الوضع مبتورة ناقصة . وتمامها (حرمت علىّ الضفادع [ من أجله ] ) أى من أجل البلاء . وذلك كما فى ص ٧٧ من طبعة بولاق

٢٦—١٧٣ : ١ (بل برأيك وعقلك كان هذا ؛ فإن الرجل الواحد أبلغ فى إهلاك العدد من كثير العدد من ذوى البأس) . وفى هذه العبارة نقص كسابقتها . وتمامها كما فى نسخة بولاق ٧٨ : (؛ فإن الرجل الواحد [ العاقل الحازم ] ) ... الخ . وعند ابن المبارية ص ١٧٤ :

فالرجل اللبيب فى الأعداء ... أبلغ من ألف ذوى فَتَاء(١)

و (اللبيب) هو العاقل ذو اللب

٢٧ — ١٩٠ : ١٢ قول البرهميين للملك حين سألهم تعبير الرؤيا : «فاملنا — إن استطعنا — أن ندفع ما نتخوف منه» . الوجه (تتخوف) بالخطاب ؛ إذ ليس من شأنهم أن يحكموا فى تعبير الرؤيا بهذا الحكم قبل أن يجتمعوا للتشاور والتآمر . وهم قد استمهلوا الملك (ستة أيام) ليتمكنوا من ذلك . والملك هو الذى كان متخوفاً ، لأنه (رأى ثمانية أحلام يستيقظ عند كل منها)

٢٨—١٩١ : ٦ (لنجعل دماءهم فى أَبْزَن ثم نقعدك فيه) . كلمة (الأبزن) معربة عن الفارسية ، بفتح الهمزة بعدها باء موحدة ساكنة ثم زاى مفتوحة . وهو الحوض من نحاس يستنقع فيه الرجل ؛ ويعرف فى ألفاظنا الدخيلة باسم (البانيو) ، وبالفرنسية : Baignoire ، وبالإنجليزية : Bathing-tub . و (أبزن) أصله فى الفارسية : (آبْزَن) بمد الهمزة ؛ وتكتب أحياناً (آب زن) ؛ وفسرت فى معجم استينجاس(٢) بأنها حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طبّى يجلس فيه المريض أو يتمدد

وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث ، والجواليقى ، وابن دريد ، والزمخشرى(٣) ، مع أنه مستعمل قديماً

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٧)
(٢) لسان العرب (١٣ : ١٣٩)
(٣) كذا فى أصل نسخة شيخو . والصواب ذو أرب ومكايد)

(١) الفتاء ، بالفتح : الشباب والقوة . وفى الأصل : (عناء) بالعين المهملة والنون
(٢) معجم Steingass الفارسى الانجليزى ص ٨
(٣) نص صاحب اللسان على إغفال الليث . وأما الجواليقى فلم يذكره فى المعرب ، وكذا ابن دريد فى الجمهرة ، والزمخشرى فى الفائق والأساس

# معركة الأطلنطى

## للأديب محمد شاهين الجوهرى

« لا تكاد خطبة من خطب تشرشل تخلو من ذكر « معركة الأطلنطى » ، فعلى صفحات هذا المحيط تقوم معركة من أشد المعارك وأعنفها ، فهى المعركة التى ستكتب السطر الأخير من سطور الحرب . وفى هذه المعركة يتعاون السلاح الجوى الألمانى مع سلاح الغواصات ، فتضرب الطائرات الألمانية الموانىء والمدن الانجليزية لتنهك قوى بريطانيا فى الداخل ، وتفتك الغواصات بالقوافل التجارية فى عرض المحيط . وإذا كان يجرى فى هذا المحيط شريان الأمبراطورية البريطانية الحيوى ، فلا عجب إذا رأينا ألمانيا تبذل قصارى جهدها لتقطع هذا الشريان لتمنع من بريطانيا ما يأتيها من معونة ومدد ، بينما تعمل بريطانيا على أن تبقى على هذا الشريان إذ فى بقائه بقاؤها »

المصانع الأمريكية تعمل فتنتج المؤن والعتاد الحربى ؛ واتفاقية الإعارة والتأجير تبيح إصدار هذه المؤن وهذا العتاد إلى بريطانيا . وفى الجزر البريطانية يرابط المدافعون عن الديمقراطية ، ويفصل المحيط الأطلنطى بين هذا المدد الأمريكى وبين المدافعين عن هذه الجزر . وفى هذا المحيط ترتع الغواصات الألمانية متعاونة مع الطائرات فى معركة لا تعرف هوادة ولا رحمة ضد السفن الإنجليزية . ويرى هتلر من وراء هذه إلى غرضين : أولهما إضعاف انجلترا بتدمير موارد ثروتها الداخلية وأحواض سفنها وموانيها ، وشل حركة إنتاج السفن والذخائر الحربية . وثانيهما منع المدد الذى يصل إلى بريطانيا من الخارج بإغراق سفنها فى المحيط ، وعزلها عن أميركا . وعندئذ يسهل عليه مهاجمة بريطانيا

تبلغ هذه المعركة شدتها فى فصل الربيع . ففى هذا الفصل تتقشع السحب التى كانت تخيم على آفاق المحيط فتجعل عمل الغواصات والطائرات عسيراً ، وتبدأ الغواصات الألمانية تجوب المحيط باحثة عن السفن البريطانية ، وتنطلق الطائرات الألمانية فى الجو لتساعد الغواصات فى المهمة الملقاة على عاتقها . وقد كان المتحمسون للطيران فى ألمانيا يعقدون آمالاً كباراً على السلاح الجوى ضد الملاحة البريطانية ، فكانوا يعتقدون أن قاذفة القنابل قادرة على أن ترسل أية سفينة حربية إلى أعماق المحيط ، ولكن التجارب برهنت على أن هذا السلاح لم يحقق ما بنى عليه من آمال ، ولذا أصبح عمل الطائرات الألمانية الرئيسى هو القيام بمهمة استكشاف مواقع السفن واتجاهاتها وإبلاغ ذلك باللاسلكى إلى الغواصات لتهاجم هذه السفن

وعدد السفن الذى يصل إلى بريطانيا سالماً هو الذى يقرر إن كان فى مقدورها أن تحافظ على سلامة هذا الخط الحيوى بينها وبين أمريكا ، وأن تضمن دوام وصول الإمدادات إليها . ويقول المستر نوكس : « إن هتلر يعمل على ألا تصل المؤن والذخائر إلى بريطانيا ، لأن فى وصولها هزيمته . إننا لا نرضى لمنتجاتنا أن تغرق فى الأطلنطى ، وستلحقنا الهزيمة إذا رضينا بذلك . يجب علينا أن نفى بوعدنا ونساعد بريطانيا لأنها عانت كثيراً فى الحرب الكبرى الماضية لما كان قد لحق أسطولها من الوهن من جراء نشاط العدو . ففى أبريل من سنة ١٩١٧ ، أغرقت الغواصات الألمانية من السفن البريطانية ما حمولته مليون طن تقريباً . وكان الألمان يتوقعون انهزام بريطانيا فى ذلك العام ، ولكن تطبيق نظام القوافل البحرية

---

وجاء فى شعر أبى دُوَاد الإيادى ، يصف فرساً وصفه بانتفاخ جنبيه(١) :

أجوف الجوف فهو منه هواء    مثلُ ما جافَ أبزَناً نجّار

وأبو دواد جاهلى(٢) . ويفهم من هذا الشعر أنه يصنع أحياناً من الخشب ، لِمَا جعل صانعه النجار . وكأن بعض العرب كانوا يجتزون بالخشب عن النحاس ، قال ابن برى : « الأبزن شىء يعمله النجار مثل التابوت » ، وأنشد بيت أبى دواد . وروى البخارى أن أنس بن مالك قال : « إن لى أبزناً أتقحّم فيه وأنا صائم(٣) »

وقد فسر (الأبزن) فى هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شىء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش(٤) .

( له بقية )    عبد السلام محمد هارون

---

(١) لسان العرب ( ١٦ : ١٩٦ )

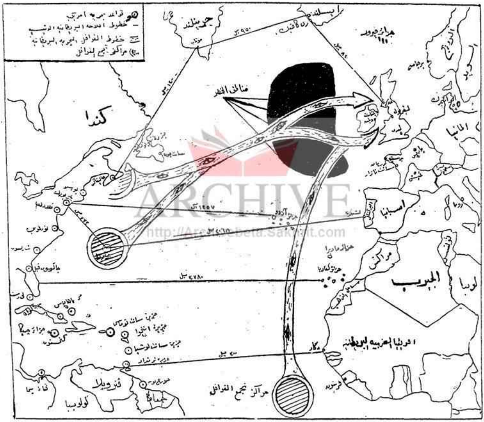
(٢) الأغانى ( ١٥ : ٩١ ساسى )

(٣) صحيح البخارى (٣ : ٣٠ س ٢٠ طبع ١٣١٤)

(٤) عمدة القارى (١١ : ١٣) ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤

ووصول المدمرات الأمريكية ، وسفن الحراسة ، واختراع الأجهزة المخبرة عن الغواصات ، قد أضعف كثيراً من خطر الغواصات » .

ويحاول هتلر الآن جهد طاقته كسر شوكة بريطانيا البحرية ويبذل فى ذلك أعنف الجهود . فإن دخول إيطاليا الحرب، وما يحرض به اليابان من قيامها بمناورات دبلوماسية وعسكرية ، إنما هى خطة






يرمى من ورائها إلى إرغام انجلترا على استخدام أسطولها فى ميادين بحرية متعددة لتتوزع قواه، وتقل مقدرته، ويصبح من السهل على هتلر أن يضربه الضربة القاضية . وأن مجرد وجود الأسطول الإيطالى فى البحر المتوسط قد اضطر بريطانيا إلى الاحتفاظ بوحدات عديدة من أسطولها فى هـذا البحر فى وقت تحتاج فيه إلى هذه الوحدات فى الأطلنطى لتعمل ضـد الغواصات ، وفى حراسة القوافل . وقد فطنت بريطانيا إلى ذلك وعملت من جانبها على إحباط السياسة الألمانية فأجرت بعض القواعد البحرية للولايات المتحدة ، أو بمعنى آخر ألقت مهمة الدفاع عن هذه القواعد على عاتق الأسطول الأمريكى ، وذلك لتقلل من الأعباء الملقاة على عاتق الأسطول البريطانى وتوجه قواه لمناهضة العدو وتأمين طرق قوافلها التجارية وضمان وصول الإمدادات إليها

عند ما بدأت الحرب كانت بريطانيا تملك من السفن ما حمولته ١٨ ½ مليون طن ، أضيفت إليها حمولة قدرها ٨ ½ من الأطنان حصلت عليها انجلترا من الدانيمرك وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنرويج وهولندا ، ومن هذا المجموع الذى يبلغ ٢٧ مليوناً من الأطنان أغرق الألمان ما حمولته خمسة ملايين طن أى ما يعادل ⅕ ماتملكه بريطانيا تقريباً .

من أين لبريطانيا أن تحصل على ما يسد هذا النقص ؟

تنتج بريطانيا من السفن سنوياً ما حمولته ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طن . ولكي تسهل المهمة الملقاة على عاتقها أدخلت بعض تعديلات على بناء السفن ، وذلك بالتخلي عن كل ما ليس له مهمة رئيسية في السفينة . وقد صار يُبنى الآن نوع من السفن يكبر حجم السفن العادية مرتين ونصفاً ، ويمكن بناء أجزاء هذه السفن في مصانع في داخلية البلاد بعيدة عن غارات الطائرات الألمانية على أحواض السفن . ويبلغ حمولة ما أمدت به الولايات المتحدة بريطانيا في عام (١٩٤١) ١٫٠٠٠٫٠٠٠ طن . كما تقرر أن تمدها أمريكا بما مقداره ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ طن في عام (١٩٤٢)، وسيبلغ هذا المدد خمسة ملايين طن في عام (١٩٤٣) . وبلغت حمولة ما وصل بريطانيا فعلاً ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طن يضاف إليها خمسون قطعة أعطيت لبريطانيا بموجب قانون الإعارة والتأجير . وسيرسل إليها ١٥٠ قطعة تبلغ حمولتها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طن . وهناك مورد آخر لبريطانيا وهو السفن المحجوزة في موانىء الولايات المتحدة ، ويبلغ عددها ٥٨ قطعة حمولتها ٥٨٩٫٠٠٠ طن

تلك هي الموارد التي تجد فيها بريطانيا عوضاً عن بعض ما تفقده . هذا ويبذل العمال جهوداً جبارة لبناء أكبر عدد من السفن، كما يضرب السلاح الجوي موانئ الغزو الألمانية ملحقاً ما استطاع من الخسارة بهذه الموانئ وأحواض السفن . ولا يألو رجال البحرية جهداً في مكافحة الغواصات والقضاء عليها ؛ وبذا تعمل بريطانيا على زيادة الانتاج وتقليل الخسارة مما يساعد كثيراً على سد هذا النقص

وغني عن البيان أن لسيطرة النازي على البلاد الساحلية في أوربا أثرها المظيم في سير معركة الاطلنطي ، فإن الغواصات الألمانية تتخذ من موانئ النرويج شمالاً إلى موانئ فرنسا جنوباً قواعد تكمن فيها . وهذا قد أعطى ألمانيا ميزتين هامتين : أولاهما أن ألمانيا باستيلائها على هذه القواعد أمكنها أن تستخدم غواصات صغيرة الحجم تسع من خمسة رجال إلى عشرة ، بدلاً من الغواصات الكبيرة التي تسع من ثلاثين رجلاً إلى أربعين ، وبذلك قلت الخسارة التي كان يتحملها الألمان من إغراق غواصاتهم كما زاد عدد الغواصات التي تعمل في المحيط . والميزة الثانية أنه باستيلاء ألمانيا على النرويج وفرنسا مكن الغواصات الألمانية من أن تتفادى الخطر الذي كانت تلاقيه في الحرب الماضية حين كان من المحتوم عليها أن تمر بحقول الألغام التي كان ينشرها الانجليز في مضيق دوفر وبحر الشمال كلما أرادت الوصول إلى قواعدها على الساحل الألماني . فالانجليز الآن إذا ما حاولوا تضييق الخناق على الغواصات الألمانية يجب عليهم أن يبذروا حقول الألغام على طول الساحل الأوربي، وهذا يعد من أصعب الأمور وأشقها على الأسطول البريطاني نظراً لوقوع هذه السواحل تحت رحمة القواعد الجوية الألمانية . كذلك فقدت بريطانيا ميزة كانت لها في الحرب الماضية وهي عدم استخدام الموانئ الإيرلندية الغربية كقواعد للسفن مما يضطر الدوريات البحرية أن تقطع للقيام بدورياتها رحلات أشق كثيراً مما كانت عليه في حرب عام ١٩١٤

وإذا كان في استيلاء ألمانيا على هذه السواحل كسب لها وخسران لبريطانيا ، فبريطانيا قد سعت من جانبها لإيجاد وسائل تفسد على الألمان ما اكتسبوه من ميزات ، فزودت سفنها بأجهزة ترشد إلى مكان الغواصات ، وبقذائف الأعماق التي تنفجر تحت سطح الماء وهي تعتبر من أفتك الأسلحة بالغواصات . وكذلك وفق الإنجليز إلى نوع جديد من السفن يعرف باسم (الكورفيت) وهو عبارة عن مدمرة صغيرة تجمع إلى بساطة تركيبها سرعتها وسهولة إدارتها، وتبلغ تكاليف هذه المدمرة الصغيرة $\frac{1}{10}$ تكاليف بناء المدمرة العادية ؛ فلا تزيد ثمنها على نصف مليون من الجنيهات، وتحتاج إلى عدد قليل من البحارة لا يزيد على الأربعين ، ويبلغ طولها نصف طول المدمرة ؛ وحمولتها أربعمائة طن وسرعتها ٢٥ عقدة بحرية في الساعة . ويمكن بناء عشر مدمرات من هذا النوع بدلاً من مدمرة واحدة كبيرة . وتحمل هذه المدمرة مدفعين من عيار ٤ بوصات وقذيفتين للأعماق . ولما ثبت نجاح هذا النوع من السفن في محاربة الغواصات قامت كندا ببناء ٨٠ قطعة . وتبني انجلترا الآن ٣٠٠ قطعة من هذا النوع . هذا وقد زودت كل سفينة تجارية بمدافع ضد الطائرات والغواصات لتكون أقدر على حماية نفسها .

وهكذا تبذل الدولتان قصارى جهودهما وتقذفان بثمرات إنتاجهما في هذا المحيط حيث تدور المعركة الكبرى .

محمد شاهين الجوهري
معهد الصحافة العالي
بالجامعة الأمريكية

# مدارس البعثة العلمانية الفرنسية

## الليسيه الفرنسية

رقم ٢ شارع الحوياتي بالقاهرة

١ — مدرسة البنين : تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية

قسم مصري

قسم تجاري

٢ — مدرسة البنات: تحضر الطالبات لشهادات «البريفيه» والبكالوريا الفرنسية وهي منفصلة انفصالاً تاماً عن مدرسة البنين

٣ — روضة أطفال

سيارات خاصة لتوصيل الطلبة والطالبات إلى المنازل

## الكلية الفرنسية (للبنات)

رقم ٦ شارع زهني بالظاهر

تحضر الطالبات بمقتضى المناهج الابتدائية لشهادة (البريفيه)

قسم خاص للدراسات التجارية . اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية في جميع الفصول

## الكلية الفرنسية (للبنين)

رقم ٤٥ شارع الظاهر

تحضر الطلبة بمقتضى المناهج الابتدائية الفرنسية ومناهج البكالوريا المصرية



## الليسيه الفرنسية

بالاسكندرية بالشاطبي

روضة الأطفال — ليسيه البنات : منفصلة انفصالاً تاما عن ليسيه البنين : تحضير لشهادتي البكالوريا الفرنسية والبكالوريا المصرية . تعليم التدبير المنزلي

ليسيه البنين: تحضير لشهادتي البكالوريا الفرنسية والبكالوريا المصرية ولدبلوم التجارة العليا . تعليم اللغتين العربية والانجليزية في جميع الفصول . تعليم الألعاب الرياضية

مدرسة الزراعة العليا المصرية : في الليسيه وفي الملحق الزراعي في رأس السودا

الدراسات العليا : — علوم ، آداب حقوق ، وعلوم اقتصادية

دراسات المهندسين: كيائيين ومساعدي المهندسين الكهربائيين والميكانيكيين .

## الليسيه الفرنسية المصرية

شارع فؤاد الأول بمصر الجديدة

(هليوبوليس)

الثقافتان الفرنسية والمصرية تلقنان لجميع التلاميذ

اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية في جميع الفصول

١ — مدرسة البنين

تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية والمصرية

٢ — مدرسة البنات

تحضر الطالبات لشهادات البكالوريا وبها قسم للدراسات العامة وفصول خاصة إعدادية للغة الفرنسية . وهي منفصلة انفصالاً تاماً عن مدرسة البنين

٣ — روضة أطفال

كل أنواع الرياضة على أجمل أراضي مصر

سيارات خاصة للمدرسة لتوصيل الطلبة والطالبات إلى المنازل

## تحدد يوم الافتتاح لجميع معاهد البعثة العلمانية الفرنسية

## ٣ أكتوبر سنة ١٩٤١

# ٥ - المصريون المحدثون

## شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

السكان

من المستحيل تقريباً في بلد لا يقيد فيه مواليد ولا أموات أن يعين عدد السكان بدقة . وقبل تأليف هذا الكتاب ببضع سنوات عمل إحصاء على أساس عدد البيوت في مصر وافتراض ثمانية أشخاص لكل بيت في العاصمة ، وأربعة أشخاص لكل بيت في الريف . وهذا الإحصاء - على ما أعتقد - يقرب جداً من الحقيقة . ولكن الملاحظة الشخصية والبحث يحملانني أميل إلى الاعتقاد بأن مدناً كالإسكندرية وبولاق ومصر العتيقة تحوى كل منها خمسة أشخاص على الأقل لكل منزل . أما رشيد فنصفها آهل ونصفها الآخر قفر ، ودمياط المزدحمة بالسكان يجب أن نحسب ستة أشخاص لكل منزل فيها وإلا نقص تقديرنا كثيراً عما يظن أنه عدد سكانها . فإذا أضيف شخص أو شخصان إلى كل منزل في المدن المذكورة ، فلا يحدث مع ذلك إلا فرق ضئيل في إحصاء سكان مصر . ومجموعهم طبقاً لتلك الطريقة الحسابية يبلغ أكثر من مليونين ونصف مليون من الأنفس ؛ ولكن هذا العدد قل فيما بعد . وكان من المحتمل أن يكون من هذا العدد قرابة مليون ومائتي نفس من الذكور ، ثلثهم (٤٠٠٠٠٠) يصلحون للخدمة العسكرية

وقد جند محمد علي من هذا العدد الأخير مائتي ألف رجل على الأقل لجيوشه النظامية وللخدمة البحرية . وأقصى خسارة نتجت من إبعاد هؤلاء الرجال عن زوجاتهم ، أو منعهم من الزواج عشر سنين ، لا بد أن تزيد على ثلاثمائة ألف ؛ ولذلك جعلت مجموع السكان أقل من مليونين . أما عدد أفراد الطبقات المهمة فقد كان كما يلي على وجه التقريب :

مصريون ( فلاحون وحضريون ) ١٫٧٥٠٫٠٠٠

مصريون مسيحيون ( أقباط ) ١٥٠٫٠٠٠

عثمانيون أو أتراك ١٠٫٠٠٠

سوريون ٥٫٠٠٠

يونانيون ٥٫٠٠٠

أرمن ٢٫٠٠٠

يهود ٥٫٠٠٠

أما بقية السكان من البدو والنوبيين والعبيد والمماليك والفرنج ، فمن المحتمل أن يبلغ عددهم نحو سبعين ألفاً . أما عدد كل طائفة على حدة فلا يمكن معرفته على وجه اليقين . وقد كان عرب الصحراء بين الغربية والشرقية لا يعدون في سكان مصر .

قلت : إن القاهرة يبلغ عدد سكانها مائتين وأربعين ألف نفس تقريباً عند ما وضع هذا الكتاب[1] . ولو كنا قد بنينا حكمنا على أهل هذه المدينة من ازدحام شوارعها المهمة وأسواقها لخدعنا كثيراً . ففي كثير من الحارات والأزقة لا يرى إلا القليل من المارين . كذلك لا يمكننا الحكم من سعة المدينة وضواحيها ، فإن داخل الجدران كثيراً من الأمكنة الخالية ، بعضها يتحول إلى بحيرات أثناء الفيضان[2] . ثم إن الحدائق والمقابر الكثيرة وأحواش المنازل والجوامع تشغل مساحة واسعة . وقد عددت بين سكان القاهرة نحو مائة وتسعين ألفاً من المصريين المسلمين ،

(١) وصل مجموع سكان القاهرة إلى هذا العدد ، بعد أن كان نحو ٢٠٠٫٠٠٠ منذ ثلاث سنوات أو أربع . ومنذ هذا الأحصاء أهلك وباء سنة ١٨٣٥ ما لا يقل عن ثلث السكان ، كما ذكر قبلا ، ولكن سرعان ما سد هذا النقص من الريف

(٢) وقد ردمت أكبر هذه البرك ، وكانت تعرف ببركة الأزبكية ( ولا زال مكانها يسمى بهذا الاسم ) ، وزرعت أشجاراً بعد سنوات قليلة من وضع هذا الكتاب

وحوالى عشرة آلاف من الأقباط وثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من اليهود ، والبقية أجانب من بلدان مختلفة [١]

ويرجح أن سكان مصر فى عصور الفراعنة كان عددهم ستة ملايين أو سبعة [٢] . ولو أن شيئاً من محصول الأرض فى العصر الحاضر لم يصدّر ، لعال هذا المحصول أربعة ملايين نفس . وإذا كانت كل الأرض الصالحة للزراعة تزرع ، لكفى المحصول ثمانية مليون ، وهذا غاية ما يمكن أن تصل إليه مصر فى أغزر السنين فيضاناً . ولذلك فإنى أعتقد أن المصريين القدماء فى الوقت الذى كانت فيه الزراعة فى حالة ازدهار كان عددهم كما قررت سابقاً . كما أنه من المفروض أن عددهم لم يكن يزيد على نصفهم إلا بقليل فى عصر البطالسة والعصور التالية ، عندما كانت تصدّر كميات كبيرة من الحبوب سنوياً [٣] . وهذا الإحصاء يتفق مع ماقاله ديودور الصيقلى من أن مصر بلغ عدد سكانها فى أيام الملوك الأقدمين سبعة ملايين ، بينما فى عصره لم يقلوا عن ثلاثة ملايين

ومن تأمل فى سياسة محمد على لا يسعه إلا أن يأسف للفرق بين حالة مصر تحت حكمه وبين ما كان يجب أن تكون ، إذ لم يزد عدد سكانها بكثير عن ربع العدد الذى كان فى إمكانها إعالته .

ولقد كان فى استطاعة العاهل العظيم أن ينفع شعبه أجزل النفع لو أنه بدلا من إفقار الفلاحين بنزع الأراضى الزراعية واحتكار المحصولات القيمة ، واستخدام كفاءة السكان فى إرضاء طموحه وتحقيق فتوحه ، أو فى منافسته الصناعة الأوربية على غير طائل

كان قد وجه عنايته إلى مساعدة الطبيعة فى أن يجعل مصر بلداً زراعياً على الأخص ، فقد كان يكفى محصول قطنها وحده ، بل ويفيض ، للحصول على كل منتجات المصانع الأجنبية وكل المحصولات الطبيعية التى تتطلبها حاجة السكان من البلاد الأجنبية [١]

## الفصـــل الأول

### مميزات المصريين المسلمين وعاداتهم

يؤلف المسلمون العربيو الأصل غالبية سكان مصر منذ قرون. وقد أحدث ذلك انقلاباً فى اللغة والقوانين والشمائل العامة ، وأصبحت العاصمة المصرية أعظم قاعدة للمعارف والفنون العربية . وسيخصص لوصف هذا الشعب — وعلى الأخص الطبقتان الوسطى والعليا فى القاهرة — أكبر جزء من هذا الكتاب ويلاحظ أن شمائل المصريين وعاداتهم تثير الاهتمام بنوع خاص ، لأنها مزيج من تلك الشمائل والعادات التى تسود الجزيرة العربية وسورية وشمال أفريقية كله وتركية إلى حد بعيد . وليس فى العالم بلد كمصر يمكننا أن نحصل فيه على معرفة تامة بأكثر طبقات العرب تمدناً

ويظهر من الإحصائيات الواردة فى مقدمة هذا الكتاب أن المصريين المسلمين — أو المصريين العرب — يؤلفون تقريباً أربعة أخماس سكان العاصمة ، وسبعة أثمان سكان مصر كلها

والمصريون المسلمون من جنس خليط انحدر إلى حد كبير من عدة قبائل وعشائر عربية وفدت إلى مصر فى عصور مختلفة ، بُعيد الفتح . وهؤلاء العرب المهاجرون كانوا أولاً قبائل تجوب الصحراء ، ولكنهم تركوا حياة البداوة وتحضروا ، ثم أصهروا إلى الأقباط الذين أصبحوا بالإسلام آمنين ، فأدّى اختلاطهم هذا إلى تكوين شعب كثير الشبه بقدماء المصريين الذين ينتمون إلى الجنس « القوقازى » مع قرابتهم

---

(١) يتألف ثلث سكان القاهرة من الذكور البالغين . وقد أحصيت من هـذا العدد حوالى ٣٠٫٠٠٠ تاجراً من صغار أصحاب الحوانيت والصناع ، و ٢٠٫٠٠٠ من الخدم الذكور و ١٥٫٠٠٠ من العمال والحمالين الخ . أما البقية فمكونة غالبا من خدم الحكومة المدنيين والحربيين .

(٢) أنا لا أعتمد كثيرا على أقوال المؤلفين القدماء فى هذا الموضوع .

(٣) وقد لمح لى البعض أنه بتصدير الحبوب ، تستورد أشياء ذات قيمة مساوية ؛ وإن تصدير الحبوب أو أي شىء آخر ينعش الصناعة وينشط السكان . ولكن أى شىء يمكن استيراده ليقوم بالغذاء اللازم لشعب عدده يستهلك أكثر من محصول أرضه

(١) فى ١٨٣٥ شحن من الاسكندريه أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ بالة قطن ، وكان ما دفعه التجار يزيد على ٧٠٠٫٠٠٠ . أما الكمية المصدرة فى العام الماضى فكانت ٣٤٫٠٠٠ بالة وهى أقل من المعتاد بكثير

إلى الجنس الأسود على درجات مختلفة ، وهذا الشبه يبدو تاماً فى عدة أفراد منهم على الجملة ، وعلى الأخص فى القبط والنوبيين ، وهو فى مسلمى مصر الوسطى والعليا أكثر شيوعاً ووضوحاً ، ولكنهم مع ذلك ليسوا أقل عروبة من أهل الحضر فى الجزيرة ذاتها ، إذ فشت فيهم منذ القدم عادة اقتناء الجوارى من قبائل الجلا Galla والأحباش ، إما للزواج وإما للتسرى . ولذلك كان عرب المدن الآن يشبهون الجلا والأحباش بقدر ما يشبهون البدو . وهذا — على الأقل — هو الحال فى مدن الإقليم الجنوبى الغربى من بلاد العرب ؛ أما الجهات الجنوبية ، فالحضريون فيها أكثر اختلاطاً بالهنود وأجناس الملايا وبالإفريقيين كذلك . فالمصريون عامة والعرب كذلك ـ ولو على درجة أقل ـ ينزعون بعرق إلى أهل أفريقيا الأصليين . ويلاحظ أن لفظ « العرب »[١] يطلقه سكان البلاد العربية الآن على البدو فى مجموعهم ، ويطلقون كلمة « العربان » على أهل القبيلة أو على القليل منهم ، أما الفرد فيسمى « بدوياً » . وقد زال التمييز بين القبائل تقريباً فى العاصمة وفى غيرها من المدن المصرية ؛ ولكنه لا يزال باقياً بين الفلاحين الذين حافظوا على عادات بدوية كثيرة سأتكلم عنها فيما بعد . وفى بقاع مختلفة من مصر عشائر تنحدر من العرب الأولين الذين يترفعون عن التزوج ممن هن أقل منهم جنساً . وهؤلاء يصعب بل يستحيل تمييزهم من قبائل صحراء الجزيرة العربية . ومسلمو القاهرة الوطنيون يسمون أنفسهم عادة : « المصريين » و « أولاد مصر » أو « أهل مصر » و « أولاد البلد » ؛ وآخر تلك العبارات الثلاث أكثرها شيوعاً فى المدينة نفسها . أما أهل الريف ، فيسمون بالفلاحين ( أو المزارعين ) ؛ وكثيراً ما يطلق الأتراك على المصريين لفظ الفلاحين ، ويقصدون به معنى الغلظة والجفاء ، أو ينبذونهم بأهل فرعون إهانة لهم ، فيرد عليهم المصريون كلما اجترأوا على ذلك بتسميتهم أهل نمرود

ويتراوح طول المصريين بين خمس أقدام وثمانى بوصات ، وخمس أقدام وتسع بوصات ، وأغلب الأطفال تحت سن التاسعة أو العاشرة دقاق الأطراف ضخام البطون ، ولكن ... سرعان ما تتحسن أشكالهم كلما تدرجوا فى النمو ، فلا يبلغون أشدهم حتى تتناسب أعضاؤهم بشكل ظاهر . فالرجال أقوياء مفتولو العضلات ، والنساء جميلات التكوين بدينات من غير إفراط . ولم أر فى المصريين بدانة إلا فى الذين أخلدوا إلى حياة البطالة فى العاصمة وفى غيرها من المدن

( يتبع ) عدلى طاهر نور

(١) هذا اللفظ كان يستعمل أولا للاشارة إلى العرب الحضريين ، بينما كان العرب الرحل يسمون « أعراباً » ، وعرب المدن يطلقون الآن على أنفسهم « أولاد العرب »

لبالي القاهرة

# وقفـــة على دار

## للدكتور إبرهيم ناجى

قِفْ يا فُؤادُ عَلَى المَنازِلِ ساعَا ... فَهُنَا الشَّبابُ عَلَى الأَحِبَّةِ ضَاعا
وَهُنَا أَذلَّ إِباءَهُ مُتَكَبِّرٌ ... أَمَرَتْ عيُونٌ قَلْبَهُ فَأَطاعا
أَحْسَسْتُ بالدَّاءِ القَدِيمِ وَعَادَنِي ... جُرْحٌ أَبَيْتُ لِعَهْدِهِ إِرْجاعا
وَمَشَى مَعَ الأَلَمِ الذُّهُولُ كَأَنَّمَا ... طَارَتْ بِلُبِّي الحَادِثاتُ شَعاعا
كَثُرَتْ عَلَيَّ مَتَاعِبِي فَمَحَوْنَنِي ... وَمَحَوْنَ حَتَّى السُّقْمَ والأَوْجاعا
يامَنْ هَجرْتَ لقَدْ هَجرْتَ إلى مَدًى ... فإِلى اللِّقاءِ ! ولَنْ أَقُولَ وداعا

# غيمـــة

## للأديب عبد الرحمن الخميسى

تَخِفُّ إلى صَـــدْرِ السَّماءِ نَمِيمَةً
رَمادِيَّةَ الأَصْباغِ مِنْ كَفِّ راهِبِ
تَشُقُّ عُبابَ الجَوِّ حَيْرَى كأَنها ... سَفِينَةُ وَهْمٍ فِي خَواطِرِ كاتِبِ
يُنادِمُهَا فَجْرٌ نَدِيٌّ مُنَوَّرٌ ... وَيُطْلِقُهَا فِي أُرْجُوانِ المَوَاكِبِ
وَتُرْضِعُهَا مَسْفُوحَها الشَّمْسُ وَقْتَاً ... تُرِيقُ دِماهَا فَوْقَ هَامِ المَغَارِبِ
وتَرْقُبُ دَمْعَ البَدْرِ فِي كلِّ لَيْلَةٍ ... لِتَسْبَحَ فِي غَمْرٍ مِنَ النُّورِ ذَائِبِ

# من لواعج الذكرى

## للأستاذ محمد كامل حته

أبى ! كيفَ ماتَتْ مَعَانِى الرثاء ... عَلَى شَــفَتِيَّ وَغُصَّ القلمْ !
وكيفَ احتوانِي ذهولُ الفناء ... عَشِيَّةَ غُيِّبْتَ بَينَ الرِّممْ ...
وأَينَ الدموعُ ، وأَينَ البكاء ... يموجُ على شاطِئَيْهِ الأَلَمْ !
وأَينَ الرثاء يهُــزُّ السماء ... وَيُدْمِي الجفونَ وَيُذْكِي الضَّرَمْ
تَأَبَّتْ عَلَيَّ فنونُ العزاء ... وَجَارَتْ عَلَيَّ همومُ العدمْ
فأَعْوَزَنى يومَ مِتَّ الوَفاء ... وما أنا فى الناسِ بالمُتَّهَمْ
كأَنى وقد حُمَّ فيكَ القضاء ... ذبيحٌ تحَشْرَجَ فيهِ النغمْ !

* * *

تُرَى كيفَ مَرَّتْ عليَّ الشهورْ ... وكيف انقضَى العامُ والآخَرُ ؟
وكيف احتوانِيَ صَمْتُ القبورْ ... وأخرسنى وَحْيُهَا الساخرُ !
وبى لوعةٌ من عذابِ السعيرْ ... تَلَظَّى بها القلبُ والخاطرُ
وما فى بيانى وَنًي أو قُصُورْ ... ولى منطِقى المسعفُ المادرُ
لقد خدعَتْنى المنَى وهى زُورْ ... وغَرَّرَ بى الأملُ الغادرُ
فأقسمتُ: ساقى الردَى لن يدورْ ... على مهجتى كأْسُهُ الدائرُ
فدارَتْ بِىَ الكأْسُ ظمأَى تفورْ ... وَغُولُ الردَى مُطْبِقٌ كاشِرُ !

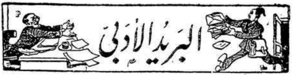
* * *

هُوَ الموتُ قدْ رَوَّعَتْنِي رُؤَاهْ ... فذابَ جَنَانِيَ فى قبضَتِهْ
وَأَعْوَلَ فِي دُنْيَاتِي صَدَاهْ ... وَغَامَتْ حَيَاتِى على صَفْحَتِهْ
فلَمَّــا تَقَشَّعَ عَنِّي دُجَاهْ ... تَلَفَّتُّ ، وَالقلبُ فِي غَشْيَتِهْ
فأَلْفَيْتُنِي فِي خِضَمِّ الحَيَاهْ ... مَهِيضَ الشراعِ على لُجَّتِهْ
وَحِيــدًا تُرَوِّعُهُ فِي سُرَاهْ ... هُمُومٌ تَفَزَّعُ مِنْ وَحْشَتِهْ !
وأَيْنَ العزاء ، وكيفَ النجاهْ ؟ ... سؤالٌ يُدَمْدِمُ فِي وَحْدَتِهْ
وأَيْنَ أبى ؟ فى جِوَارِ الإِلهْ ... يُلَقَّى الكرامة فى جَنَّتِهْ !

# إلى البـــدر ...

## للأديب محمد عبد السلام كفافى

سميرك يا بدر الدجى كاد يغربُ ... ويحجبه من عالم الموت غيهبُ
أرانا تشابهنا فإنك فى الدجى ... منار وإنى فى دجى اليأس كوكب
ونحن بنو أم كلانا سليلها ... ولكننا فيها نُوارَى ونُحجب
فويلك إن ألقت عليك بظلها ... وويلى إذا ما فى ثراها أُغَيَّب
ولكن تخالفنا فأنت تعود من ... غروب ولن آتى إذا حان مغرب
وأنت صليب القلب لكننى فتى ... فؤادى بألوان الهموم معذب
فكم بات قبلى سامرون مدى الدجى
طوتهم من الماضى سنون وأحقب
تناجيك أشعار لهم وأهازجٌ
ويشجيك نايٌ خالد اللحن مطرب




## ١ — ما رأيكم في هذا الجواب؟

لأستاذنا الكبير (ا. ع) فضل في تقييد ما يقع في أقوال الكتّاب والشعراء من التعابير الدخيلة في اللغة العربية. وهو يختصني بالعناية فيتناول كلامي بالنقد من حين إلى حين، وإن كان في يأس من إصغائي إليه في كل وقت، لأني أرى من حق الكاتب أو الشاعر أن يدير التعبير كيف شاء، وفقاً للصورة التي تتمثل في ذهنه وهو يساور بعض المعاني والأغراض

ومن أغلاطي عنده عبارة «من جديد» وهي كثيرة الدوران في كلامي، ويرى أستاذنا (ا. ع) أنها «من التعبيرات التي تسربت حديثاً إلى لغتنا، فتداولها الكتّاب من غير تمحيص، ولا وزن لصحتها اللغوية، ولا لصلاحيتها الآن تندمج في الأساليب الفصيحة وتغدو جزءاً منها» ثم قال: «وما كنت أتوهم قط أنها تصل يوماً إلى أقلام البلغاء» وبعد أن رجّح أنها «من التراكيب الأفرنجية الكثيرة التي شوهتها الترجمة السقيمة» تلطف فقال: «أفلا يرى معي حضرة الدكتور أنه يجدر بنا أن نحارب هذه الطفيليات في لغتنا، وأن نقضي عليها قبل أن يستشري فيها شرها؟»

واتفق أن صرفتني الشواغل عن الجواب فكتب الأستاذ بعد ذلك بأسابيع كلمة يقرر فيها أن عبارة «من جديد» لن تُقتلَع من اللغة إلا بعناء، وفوض أمره وأمر اللغة إلى الله!

فما رأي أستاذنا (ا. ع) فيمن يخبره أن اللغة العربية عرفت هذا التعبير قبل أكثر من تسعة قرون؟ ما رأيه في قول ابن رشيق وهو من أقطاب الأدب العربي:

قد أحكمتْ مني التجا ... ربُ كل شيء غير جودي
أبداً أقول لئن كسبـ ... ـتُ لأقبضنّ يديّ شديد
حتى إذا أثريتُ عُد ... تُ إلى السماحة من جديد

أتراني أجبتُ؟ إن لم يقتنع فسأرجع إلى مصاولته من جديد وإن اقتنع فأنا أنتظر منه جائزة سنية على هذا الجواب، والسلام

## ٢ — مشكلة جديدة

قبل ظهور العدد الماضي بثلاثة أيام قدمت الكلمة السابقة لمطبعة الرسالة، وراعني أن أجد أحد الأدباء سبقني بكلمة عن أبيات ابن رشيق، ولم تكن تلك الأبيات بعيدة مني، فهي من شواهد كتاب «الموازنة بين الشعراء» ولكن الحظ قضى بأن تكون «الجائزة السنية» من حق ذلك الأديب وقد وصلت كلمته قبل كلمتي

وهنا تظهر مشكلة جديدة تصورها الأسئلة الآتية:

١ — حكم الأستاذ الكبير (ا. ع) بأن عبارة «من جديد» لم تكن شائعة بيننا قبل نحو عشر سنين، فهل يؤمن بقيمة الاستقراء الفردي في اللغات؟

٢ — وحكم بأنه ما كان يتوهم قط أن تصل هذه العبارة يوماً إلى أقلام البلغاء، فهل يتفضل فيشرح الأسباب التي تمنع وقوع هذه العبارة في كلام بليغ، ولو صح القول بأنها منقولة عن اللغات الأجنبية؟

٣ — ورجح القول بأنها مترجمة عن الإنجليزية، وأقول إن لها نظيراً في الفرنسية، فهل يجب أن ننفي من لغتنا كل عبارة لها نظائر في لغات الأجانب؟

٤ — قال أستاذنا (ا. ع) إنه جهد في أن يخرّج هذا التركيب في مختلف أوضاعه تخريجاً سائغاً فلم يوفق، ثم قال: «قد يكون التقدير في عبارة الدكتور (من وقت جديد) أو (من شيء جديد) أو (من أمر جديد) مثلاً، ولكن كيفما قدرنا هذا الموصوف ألفينا الكلام غثاً لا معنى له»

---

ولوا ولم تحزن عليهم بدمعة ... ولكن على أجداثهم بت تلعب
حكيت فتاتي في الملاحة والسنى ... وتحكيك منها قسوة وتجنب
كأنك منها وهي منك تحدرت
فليست إلى الأرضين تُنمى وتنسب
أراها على أفق الجمال تربّعت ... يداعبني منها شعاع محبّب
فيوهن بأسي حبُّها ويهدّ من ... قُوى عزمتي والحب أقوى وأغلب
فويلي يا بدران إن مت منكما ... فلا هي تبكيني ولا أنت تندب

ومن حق أن أسأل أستاذنا عن الموجب لهذا التقدير وهو من صور التكلف والافتعال؟ يضاف إلى ذلك أن البحث عن أصول التعابير يضيع الغرض الأصيل وهو الإيجاز ويُفقد التعابير حظها من الدالية البيانية

إن أجاب سعادة الأستاذ عن هذه الأسئلة بما يقنع فله عندي جائزة سنية، على شرط أن يخص السؤال الثاني بالعناية والاحتفال

زكي مبارك

## من جديد

اطلعت في العدد (٤٢٧) من «الرسالة» على كلمة للأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة، يعقّب بها على ما كتبته في تخطئة قول بعضهم: «من جديد»؛ ويستشهد لعربية هذا التعبير بما رواه لابن رشيق القيرواني في إحدى قصائده

ولقد طربت — علم الله — لهذا التصويب، وإن كان لا ينزلنا منزلة اليقين؛ ولكنه — كما قال الأستاذ — يميل بنا إلى الجزم بانتماء هذا التعبير إلى العربية الصحيحة، ويبعد بنا عن فكرة أنه مترجم عن الإنجليزية لقدم عهده

وإني أشكر للأستاذ إفادتي وخدمته للغة بكشفه هذا هدانا الله إلى السداد، وألهمنا الصواب فيما نقول ونعمل.

(ا. ع)

## الذي حرك العالم!

تساءل الأديب الفاضل أحمد الشرباصي في العدد الخامس والعشرين بعد الأربعمائة من «رسالتنا الغراء» عن السبب في تسمية «الجاز» المستعمل في المنازل بأسماء مختلفة، فقال: إن الحكومة تكتبه في البطاقات التي تعطى شهرياً للجمهور باسم «الكيروسين»، وكتاب السياسة يسمونه «البترول»، والعامة تسميه «الجاز»؛ ويقترح الأديب أن يطلق عليه «النفط»، كما كان يسميه العرب وتسمى منابعه «النفاطات»

والواقع أن «الجاز» أحد مشتقات عديدة تستخرج من زيت معدني هو البترول، أي أن كلمة «الجاز» لا ترادف كلمة «البترول»، والعلاقة بينهما هي علاقة الفرع بالأصل. وأما كلمة «الكيروسين»، فهي ترجمة إفرنجية علمية صحيحة Kerosene للجاز، وموضوع «البترول» موضوع كيميائي متشعب. والمكتبة الإفرنجية غنية بالمصنفات العديدة عنه نظراً لأهميته الحيوية لجميع الأمم، سواء المتحاربة أم المسالمة، فما من مصنع يشتغل، أو سيارة تتحرك، أو طائرة تحلق، أو قطار يسير، أو بيت يعمر بأهله، إلا كان للبترول ومشتقاته فضل كبير في ذلك: فمنه يستخرج بنزين السيارات والطائرات، ومنه تستوقد النيران في المنازل بالجاز، ومنه زيوت التشحيم بأنواعها المختلفة، ومنه زيوت الديزل والمازوت للوقود، ومنه الشمع، ومنه الأسفلت. وأما كلمة «الجاز» التي شاعت على لسان الجمهور فأغلب الظن أنها مأخوذة من أحد زيوت البترول المسمى جاز أويل Gas Oil وهو نوع خفيف من زيت الديزل ويستضاء به أيضاً

وإذا كان قد جاء في المختار والقاموس والمصباح أن النفط ضرب من السرج يستصبح به، وأن النفاطة منبت النفط ومنبعه، فأظن أنه بعد التقدم العلمي في دراسة البترول وتقسيم مشتقاته لا يكفي. فعلى علماء المجمع اللغوي أن يحددوا اللفظ المقابل لكل من المواد السالفة الذكر، بعد أن اتضح أن الجاز شيء والبترول شيء آخر

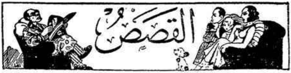
أحمد علي الشحات
كيميائي

## استيضاح

في العدد (٤٢٥) كتب الأستاذ الكبير (ا. ع) تعقيباً لغوياً على الدكتور زكي مبارك جاء في هامشه ما نصه: «ويكنى عن الأمر بكذا؛ إلا أن (كذا) تفرد إن لم يتعدد الفعل. قال في (المصباح): ويكون كناية عن الأشياء، يقال فعلت كذا، وقلت كذا؛ فإن قلت: فعلت كذا وكذا فلِتعدُّد الفعل اهـ»

وفي هذا القول نظر، كما يقول الأسلاف إذ جاء في مختار الصحاح ما نصه: «تقول فعل كذا وكذا» و«تقول عندي كذا وكذا درهماً» وهذا يفيد جواز تكرار (كذا)

وقول المصباح: «فإن قلت: فعلت كذا وكذا فلِتعدُّد الفعل» مبهم محتاج إلى توضيح، إذ لا نفهم معنى تعدد الفعل هنا؛ أيقصد تعدد الفعل من الفاعل، أم يقصد تعدد الفعل في الجملة




# ذهب آل هوهنزلرن

تأليف الكاتب الإنجليزي س. فورستر

للأديب سيد إبراهيم البكار

عند ما كان ابن عمي بريان طالباً بالطب، كان كثيراً ما يختلف إلى منزلي، وخاصة عند ما يكون في حاجة شديدة إلى النقود. أما الآن وقد أصبح طبيباً ناجحاً فلم أعد أراه أو أسمع صوته. لذلك كانت دهشتي شديدة، عند ما دق جرس التليفون في أحد الأيام وكان المتكلم بريان. وسألني عما إذا كان في استطاعتي أن أستغني عن جزء من وقتي ليواضعني الرأي في أمر هام. وقد انتهى حديثي معه بأن دعوته إلى العشاء.

ومع أنني كنت مشغولاً إذ ذاك بعرض إحدى رواياتي على مسارح لندن، ومنهمكاً في درس تفاصيل اتفاق مع إحدى الشركات السينمائية على شراء رواية أخرى، فإني كنت مشتاقاً إلى رؤية بريان، وقضاء بعض الوقت معه. فقد كان شاباً ظريفاً، يتفجر حيوية ونشاطاً

وكان لبريان مقدرة عظيمة على ضبط نفسه، فلم يكلمني في ذلك الأمر الهام حتى فرغنا من تناول العشاء وشرب القهوة. وفي أثناء ذلك أخذ يسألني بكل أدب عن الرواية والفلم، وعن مدى نجاح مسرحيتي الجديدة. ولم يكن عجيباً أن يلقبني بريان بالعم فقد درج على ذلك منذ صغره؛ ولم أكن من ناحيتي أرى غضاضة في ذلك، بل كنت أعتبر هذا شعوراً طيباً منه نحوي. ولما فرغ بريان من إشعال سيجارته سألته عن ذلك الأمر الهام الذي كلمني عنه في التليفون.

قال بريان: حسن يا عمي، كل ما أريده منك أن تصحبني في رحلة على ظهر الدوليسينيا. والدوليسينيا هو الاسم الذي أطلقه على يختي الخاص.

قلت: يا طفلي العزيز، لقد كنت تتكلم الآن عن الرواية والفلم. وأنت تعرف أني أريد أن أنتهي منهما. وعلى ذلك فلن يكون في استطاعتي أن أستغني عن دقيقة واحدة في ستة الأسابيع القادمة.

قال بريان: حسن، هذا ما كنت أخشاه، فبعد ستة أسابيع يكون الوقت قد مضى، وأنت تعرف أن الملاحة في الدانوب تتعطل في أثناء الشتاء.

— الدانوب؟ وأين تريد أن تذهب؟ ولماذا؟

— أنت ترى، ولكن يحسن بي أن أتكلم من البداية.

— إن هذا يكون أكثر إيضاحاً.

— لقد بدأت هذه القصة منذ أسبوعين مع أحد مرضاي وهو بحار ألماني ظريف يدعى «باير». وكانوا قد حملوه إلى المستشفى من الميناء، إذ أصابته إحدى الرافعات إصابة خطرة. وقد بذلت ما في وسعي لإنقاذه فنلت بذلك ثقته، وقد ساعدني على ذلك معرفتي باللغة الألمانية. وقبل وفاته بقليل أرسل إحدى الممرضات لاستدعائي — ولحسن الحظ كنت موجوداً حينئذ في المستشفى — وأخبرني عن الكنز.

— الكنز؟

— نعم، الكنز. إنها تبدو لك رواية خيالية. وقد فكرت

---

وتقديره مضمراً يفسره المذكور، أم ماذا؟ مع ملاحظة أن المصباح نفسه قد أورد قبل ذلك في المادة نفسها هذه الجملة: «يقال اشترى الأمير كذا وكذا عبداً»

فهل يتفضل الأستاذ الكبير (ا. ع) بتوضيح ذلك وتبسيطه لعامة القراء؟

(البجلات) أحمد الشرباصي

## في اللغة

طالعت بجريدة الأهرام صباح الأحد كلمة (هناء) في مقال بإمضاء (مصري) وتحت عنوان (يا أولياء الأمور) وقد سبق أن أنكر الباحثون وجود تلك الكلمة في اللغة وقالوا إن الصحيح (هناءة) لا (هناء) فهل يتفضل العلامة وحيد بك بما يؤكد الخطأ أو الصواب. ولحضرته الشكر (ع. ع)

فيك وهو يقص علىّ تلك القصة العجيبة . ألا ترى معى أنها كذلك ؟ البحار الذى يحتضر يقص على الدكتور الطبيب فى المستشفى قصة الكنز المخبوء ، إنما كان ينبغى أن تكون مع البحار خريطة يبين عليها مكان الكنز .

— وهل كان معه ؟

— كلا ولكن ما قاله يكفى . لقد قال إنه كان جندياً فى الحرب العظمى ، ولم يشتغل بالملاحة إلا أخيراً . وقد كان أحد الحراس الثلاثة الذين أرسلته الحكومة الألمانية لحراسة مقدار من المال أرسلته إلى بلغاريا أثناء الحرب . وقد عهد إلى أحد الضباط حراسة العربة المملوءة بالمال . ولما كانت أرض بلغاريا صخرية وعرة ، فقد وصلوا إلى هناك متأخرين . وأنت تعرف أن بلغاريا كانت أسبق الدول التى بادرت إلى التسليم

— نعم . هذا صحيح . ولا زلت أعجب كيف أن الشبان الذين لم يكونوا إلا صبية صغار فى سنة ١٩١٨ يعرفون عن معركة هاستنج أكثر مما يعرفه آباؤهم وأعمامهم الذين خاضوا غمارها وذاقوا ويلاتها

* * *

وعاد ريان يقول : لقد كانوا قريبين من الحدود عند ما سلمت بلغاريا . ولما سمع الضابط أن جيشاً إنجليزياً كان فى طريقه إلى صوفيا أمر بتحويل عربة الكنز إلى خط آخر ، ووصلها بالقطار الذاهب إلى ألمانيا . ولم يكن سيرهم سريعاً ، لأن خطوط السكك الحديدية كانت غير منتظمة . وكانوا لا يزالون فى هنغاريا عند ما سلمت النمسا أيضاً

قلت : هذا معقول جداً . فالنمسا كانت ثانية الدول التى سلمت

واستطرد ريان يقول : وهكذا كانوا هناك مع عربة من عربات السكك الحديدية ملأى بالذهب . ولم يكونوا قادرين على التقدم ولا على الرجوع . وكان عليهم أن يعملوا عملاً حازماً سريعاً . ومما حملهم على ذلك أيضاً أن التشيك والرومانيين كانوا يسيرون فى اتجاههم . وكان الإيطاليون يتقدمون نحو فينا . وبالطبع لم يكن الضابط يريد أن يستولى الحلفاء على ذلك الكنز ولذلك دفنوه

قلت : وهل أخبرك أين دفنوه ؟

— بالطبع . فقد وقف قطارهم عند تل عال يقع بالقرب من قرية تسمى (ديلنجن) على نهر الدانوب . وعلى قمة هذا التل صليب تذكارى . وقد تعاون الضابط وباير والرجل الثالث على إخراج الذهب من العربة ، وحملوه ليلاً إلى أعلى التل ، ودفنوه هناك على عشر خطوات من الصليب المذكور

وقد قال لى باير إن المال كله كان فى صناديق حديدية ، من بينها اثنان لم يستطيعوا حملهما إلا بصعوبة

— وهل تظن أنه كان يقول الحقيقة ؟

— نعم . إنى متأكد من ذلك تأكدى من جلوسى هنا معك

— ولكن هذا لا يعنى أن الكنز لا يزال هناك

— صبراً . فسأخبرك عن كل شىء فى وقته ، فبعد أن دفنوا الكنز رحل الثلاثة : باير ، والضابط ، والرجل الثالث ، قاصدين بلادهم . وقد كان رجوعهم شاقاً ، فقد كانت هناك ثورات فى كل مكان ؛ وكانت آثار التخريب والدمار بادية فى كل قرية

— نعم هذا صحيح ، فقد شاهدت بعينى ما حدث فى دول أوربا الوسطى بعد الهدنة بقليل

— وعلاوة على ذلك لم يكن مع أحدهم الغذاء الكافى . وكانت عدوى الأنفلونزا منتشرة فى ذلك الوقت ، وقد أصيب بها الرجل الثالث فمات فى فينا . وبقى باير والضابط . ولما وصلا أخيراً إلى ألمانيا كانت الحرب هناك قد انتهت أيضاً ؛ ولكن كانت هناك فتن وقلاقل داخلية . وبينما كانا خارجين من محطة السكك الحديدية فى درسدن قذف شخص مجهول قنبلة أصابت من الضابط مقتلاً . وأصيب باير بجروح لم تكن خطرة على كل حال ، فقضى هناك بعض الوقت حتى التأمت جروحه ، ولما ثابت إليه صحته صمم على أن يحتفظ بسر الكنز لنفسه وألا يخبر به أحداً ما داموا لم يسألوه عنه . فقد نسى الجميع كل شىء عن هذا الكنز وسط القلق والاضطراب والثورات القائمة

— ليس هذا بعجيب

— حسن . منذ ذلك الوقت وباير يبحث عن طريقة يحصل بها على هذا المال ؛ ولكن لم يكن ذلك بالشىء اليسير ، إذ يجب

عليه أن يجتاز بعض الحدود، ويتعرض للشبهات والظنون. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرحلة الطويلة الشاقة تتطلب كثيراً من النقود ولم تكن النقود متوفرة لديه. وكان يخاف أن يطلب معونة أحد حتى لا يطلعه على سره. لذلك أخذ يتنقل من عمل إلى آخر، منتظراً حدوث معجزة تدنيه من غرضه. ولكن لم يتحقق حلمه، فقد كان آخر عمل له أنه كان بحاراً على ظهر هذه السفينة الألمانية، ولم يعش طويلاً؛ فقد مات بعد أن قص على هذه القصة

— وهل معه أحد وهو يخبرك بهذه القصة؟

— كلا. إن هذا مستحيل. ومع ذلك فقد كان يكلمني باللغة الألمانية

— حسن، كل شيء يكاد يبدو حقيقياً، ولكن ما هي خطتك؟

— أريد أن نركب الدوليسينيا إلى هناك، ويمكننا أن نبحر إلى أعالي نهر الرين، ونعبر القناة الواصلة بين الرين والدانوب

— يا إلهي! لقد نسيت كل شيء عن هذه القناة

— ومن ثم ننزل إلى الدانوب، من فينا، وبعد ذلك نرسي عند ديللجمه، ثم نحمل الكنز ليلاً إلى اليخت. وأنت تعرف أن اليخت أكثر صلاحية لتخبئة الكنز من السيارة. ولن يرتاب فينا إنسان أو يشك في الأمر أحد

— هه!

— ستأتي معنا. أليس كذلك؟ سنكون أنا ودوروثي مسرورين بصحبتك

— دوروثي؟ يا للشيطان! وما الذي أدخل دوروثي في الأمر؟ ودوروثي هي خطيبة بريان

— نحن على وشك الزواج، وستكون هذه الرحلة بمثابة شهر العسل لنا

— فليبارك الله نفسي. هل تظنني أصحبكما وأتطفل على زوجين في شهر العسل؟

— لكننا لا نبالي بذلك

— ربما لا تبالون أنتم بالأمر؛ ولكني أنا أبالي. إني أفضل أن يختل عقلي — كما أتوقع لنفسي — بهذه التجارب وهذا القلم. أما أنت فخذ اليخت، ولكن لا تسألني أن أصحبكما

— أشكرك يا عمي. سنأخذ نصف الكنز. هل تقبل؟ إننا سنستخدم يختك كما تعلم

ردني ما قاله إلى عالم الحقيقة مرة ثانية. لقد رن كل شيء في أذني معقولاً إلى الآن. ولكن عند ما أخذت أنظر في الأمر عن كثب بدا لي كل شيء أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة الواقعة. فاكتشاف الكنز المخبوء لا يكون إلا في القصص والروايات

وقطع على بريان سلسلة تأملاتي بقوله:

— كم تظن من المال هناك؟

قلت: أنا لا أعتقد أن دولة كبيرة كألمانيا ترسل إلى بلغاريا في أثناء الحرب أقل من مليون جنيه. أليس كذلك؟

وتناولت ورقة وقلماً وأخذت أحسب

— كل شيء حسن. لقد حسبناها أنا ودوروثي. نحن نستطيع أن نحمل مليون جنيه على ظهر الدوليسينيا بكل سهولة

وأخيراً اتفقنا على كل شيء. سأضع يختي تحت تصرف بريان؛ وعند ما يأتي بالمليون سيعطيني عشر هذا المليون. وأنا أعتقد أن مائة ألف جنيه تكفي عجوزاً مثلي لكي يقضي بقية حياته في هدوء واطمئنان. ويستطيع بريان أن يأخذ باقي المليون، وإذا لم يستطع إنفاق كل هذا المال فعليه أن يعيد بناء مستشفى لندن. وكنت أعرف أن بلاد الدانوب مليئة بالفتن والقلاقل، وأنهم سيتعرضون لكثير من المخاطر. فلما أبديت مخاوفي إلى بريان ابتسم وقال:

— إن دوروثي تحب المغامرات، وهي تخوض المخاطر بشجاعة منقطعة النظير. وعلى كل حال نحن نعرف كيف نحتفظ برؤوسنا سليمة، فلا تخف

وأخذنا نتناقش في بعض التفصيلات الخاصة بالرحلة، وإعداد المدة لها، ولم يبرح بريان منزلي إلا بعد الساعة الرابعة صباحاً

* * *

وأخيراً أتى اليوم السعيد، يوم زواج بريان ودوروثي. ولم أستطع التخلص من مشاغلي إلا بصعوبة. وما صدقت أني أصبحت حراً طليقاً، من أوامر الأستديو، وقيود التجارب في يوم بأكمله، حتى قصدت الكنيسة حيث أقيمت مراسيم الزواج، ووقعت باسمي شاهداً في السجل الخاص بالزواج، ثم

قدت العروسين السعيدين إلى مرسى الدوليسينا . كان أمامي ستة أسابيع قبل أن أراها ثانية . ولا أقول إن هـذه الستة أسابيع مرت ببطء ، أو إنى قضيتها على أحر من الجمر ، فقد كانت مشاغلى كثيرة . كان أمامي الرواية المسرحيـة ، ومضايقات التجارب التي لا تنتهي ؛ ثم هناك أيضاً الفلم ، ولا يستطيع من يشتغل بإخراج فلم أن يجد من وقته لحظة واحدة يقضيها في هدوء وسـلام . وعند ما انتهى الفلم وأصبح صالحاً للعرض ، كان لا يزال على أن أنتهي من هـذه الرواية بسرعة ، وقد انتهيت منها في الوقت الذي تعهدت بتقديمها فيه إلى الناشر . وعند ما انتهيت من هذا كله أحسست كأن عبئاً ثقيلاً أزيح عن عاتقي . ومن ثم أخذت أفكر طويلاً في الدوليسينا ، وكنت أتخيلها وهي تأخذ طريقها عبر القناة بين مرتفعات بافاريا ، ثم أتخيلها وهي تندفع مع التيار في نهر الدانوب ؛ ثم أتخيلها وهي تثير شكوك البوليس في سبع دول مختلفة

وكنت أواظب في أثناء ذلك على قراءة الجرائد الأجنبية . ولكني لم أعثر فيها على أي نبأ بالقبض على زوجين انجليزيين بتهمة التجسس أو سرقة كنز . ولـكنني مع ذلك أخذت أتضايق وأوشك صبري أن ينفد عند ما سمعت جرس التليفون يدق فجأة ، وكان الترنك يناديني من سوثهامبتن

— هالو ! عمي ! لقد رجعنا ثانية . وكان الصوت صوت بريان

قلت : وهل أنتما بخير ؟

قال : نعم وقد وجدنا الـكنز

وصحت فجأة : وجدتما ماذا ؟

— وجدنا الـكنز كله سليما . ألم أقل لك إني سأجده ؟ سأخبرك بكل شيء في هذا المساء . نحن الآن في المحطة على وشك ركوب القطار إلى المدينة

وربما كان أول ما خالج نفسي من مشاعر هو الاطمئنان لعودتهم سالمين ، ولـكن مع هذا طغى علىّ فضول هائل لمعرفة كل شيء عن الـكنز . وقد كنت ما أزال في ريب من أن هذه المغامرة قد انتهت بهذه السهولة . وعهدي بالمغامرات أنهـا لا تتحقق إلا في الروايات الخيالية التي كنت أؤلف منها العدد الـكبير . كنت في الحقيقة بين الشك واليقين ، وكنت في اضطراب ذهني ، وقلق فكري ، عند ما أتى بريان ودوروثي لينقذاني مما أعاني

قلت عند رؤيتهم : حسن ؟

قال بريان : نحن مسروران لرؤية عمي المؤلف العظيم

وقالت دوروثي : لقـد رأينا ونحن في التاكسي جموع الجماهير المحتشدة وهي تتزاحم على شراء التذاكر لرؤية مسرحيتك الخـالدة !

قلت : لعنة الله على المسرحية ، لنتكلم عن الـكنز أولاً

قال بريان : حسن ، ولكن اسمح لي أولاً بشيء من الشراب يا عمي

وأحضرت إليه ما طلبه ، ثم أخبرت الخادم أن الدكتور والمسز سومرست سيبقيان للعشاء . ثم استدرت نحوهما وقلت : حسن

وابتدأ بريان يقول : لم تكن رحلة رديئة بالنظر إلى الذين كانوا يرافقوننا

ورمته دوروثي بمخدة صغيرة

قلت وقد شعرت بالغضب لتدخلها : لا تكوني طفلة حديثة الزواج هكذا ! أتركي هذا الطفل الأحمق يقص قصته بطريقته الخاصة

وعاد بريان يقول : لم تكن الرحلة تستحق الذكر . إلا أن النهر كان مليئاً بالقوارب الـكبيرة والجرارات الضخمة التي كانت تحدث صوتاً عالياً ، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع كلامك نفسه ؛ وقضينا يومين على هذا الحال . أما اليخت فيجب عليك يا عمي أن تضع فيه ما كينة فاخرة بعد ذلك . لقد كنت أقول دائماً إنك ستستعمل اليخت عاجلاً أو آجلاً

قلت بضيق : سأفعل ذلك في المرة القادمة

— هذا عن نهر الرين . أما الملاحة في الدانوب فقد كانت حسنة . إنه نهر واسع جميل ، وكانت الرياح تساعدنا ، وكانت الأمواج هادئة ، وبعبارة أصح كانت الرحلة موفقة . آه ، لقد نسيت أن أخبرك عن العبور من هولندا إلى ألمانيا . كان علينا أن ندفع ...

قلت وقد نفد صبري : أنا لا أهتم بما تدفعه . استمر في قصتك

— حسن ، لقد عبرنا تشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر ، وكان كل من يرى الراية الزرقاء ترفرف على اليخت لا يفهم السبب الذي حدا بيخت إنجليزي خاص إلى المجيء إلى أواسط أوربا ، ولكنهم اعتادوا رؤيتنا فلم يسببوا لنا متاعب عند رجوعنا أخيراً بالذهب ؛ وكان كل مكتب جمارك يدعونا ليلقي علينا بعض الأسئلة عن المكان الذي أتينا منه ، وعما نفعله ، وإلى أين نحن ذاهبان ، وكان أكثرهم يتظاهر بأنه لا يعرف الألمانية

قلت وقد عيل صبري : امنة الله على الألمانية ! ألم تذهب أخيراً إلى ديللنجن ؟

— نعم في آخر الأمر ، وكان أول شيء بدا لنا من ديللنجن هو الصليب التذكاري على المرتفعات القريبة من الماء . وكان هناك خط حديدي بجوار التل كما قال باير تماماً ؛ وكان علينا أن نذهب إلى الشاطئ ونعبر شريط القطار ، ثم نصعد إلى قمة الجبل ، ولما وصلنا إلى ذلك الصليب التذكاري خطوت عشر ياردات إلى الشمال منه ، وكان كل شيء حسناً

— ماذا تعني بقولك حسن ؟

— لقد قال باير الصدق ، فقد كان هناك كثيب صغير من الرمال وحشيش نام لا يلاحظه إلا من يعرف مكانه بالضبط .

وعلى ذلك فقد رجعنا إلى اليخت ، وانتظرنا إلى أن أتى الليل ، وكان الانتظار طويلاً ومملاً ، إذ كان يلوح لنا أن الوقت لا يتقدم . ولما خيم الظلام على الكون ، ذهبنا إلى الشاطئ ثانية ... وكنت قد اشتريت مجرافاً أثناء مروري بمدينة فينا ، فأخذناه معنا واجتزنا شريط القطار ، وكان قطار الشرق السريع الآتي من استامبول يمر في ذلك الوقت ... فانتظرنا حتى مر ، ثم ارتقينا التل في الظلام . ولم يكن من السهل العثور على ذلك الصليب التذكاري في هذا الظلام الشامل ... ولكن كان من حسن حظنا أننا قد أتينا إلى هذا المكان في النهار . . . فجلست القرفصاء ، وأخذت أتحسس الأرض لكي أعثر على كثيب الرمل ... ولما وجدته بدأت أحفر في ذلك المكان ... ولم أحفر كثيراً ، فبعد أن حفرت ثلاث بوصات بدأ المجراف يحدث صوتاً مسموعاً نجم عن اصطدامه بشيء معدني ، وكان ذلك الشيء صندوقاً حديدياً كبيراً . . . وبذلنا أنا ودوروثي مجهوداً كبيراً حتى أخرجناه من الحفرة ... !

وكان هناك صناديق أخرى في تلك الحفرة . وكنت أعرف أننا إذا أخرجناها كلها من الحفرة فلن نجد الوقت الكافي لكي نحملها إلى اليخت قبل طلوع النهار . وهذا يعني أن بعضها سيبقى على التل إلى النهار ، وسيظهر الناس على حقيقة الأمر كله . لذلك آثرنا أن نحمل هذا الصندوق أولا ، ثم نحمل بقية الصناديق في الليالي التالية . وعلى ذلك ، فقد ردمنا الحفرة بمهارة ورجعنا إلى اليخت بالصندوق الأول ، وكان ثقيلاً . وقد حدث أن وقع على قدمي ، وكشط الجلد كله ، وكانت دوروثي هي السبب في ذلك ...

وصاحت دوروثي معارضة : كلا ، لست أنا ...

وصحت غاضباً : كوني هادئة ، أيتها الطفلة ...

وعاد بريان يقول : حسن ، بعد ما اجتزنا شريط القطار أوصلنا الصندوق إلى اليخت بواسطة قارب ، ثم وضعناه أخيراً في الكابينة ، وكان أمامنا وقت كاف لكي نحضر صندوقاً آخر ، ولكننا آثرنا أن نفتح ذلك الصندوق أولاً لنرى ما بداخله

***

وكأنما تعمد بريان مضايقتي ، لأنه اختار هذه اللحظة بالذات لكي يشعل سيجارته ، ولكنني امتنعت عن أي معارضة وانتظرت بفارغ الصبر حتى انتهى من هذه العملية وعاد يقول :

— ولم يكن فتح الصندوق بالشيء الصعب ، فقد كان القفل قديماً قد أتلفه الصدأ ، فلم نجد صعوبة في كسره ، وكان ...

فقاطعته وأنا أقول بلهفة : وماذا وجدتم في الداخل ؟

— وجدنا المال الذي قال عنه « باير » ؛ ولكنه كان أوراقاً مالية ، وبالطبع كانت هذه الأوراق من الطبعة التي أصدرتها ألمانيا أثناء الحرب . وكان في الصندوق نصف مليون فرنك إن لم يكن أكثر ؛ وأظنك اشتريت لي أوراقاً من هذا النوع بعد الحرب مباشرة لكي ألعب بها ، وفي الوقت الذي خرجت فيه هذه الأوراق من دائرة التعامل ، كان المائة ألف منها تساوي بنساً واحداً على ما أظن !

سيد إبراهيم النجار

( طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين )